التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 136 السنة السابعة عشر - مارس 2019

الضـــرائـــب وهواجس المواطنين

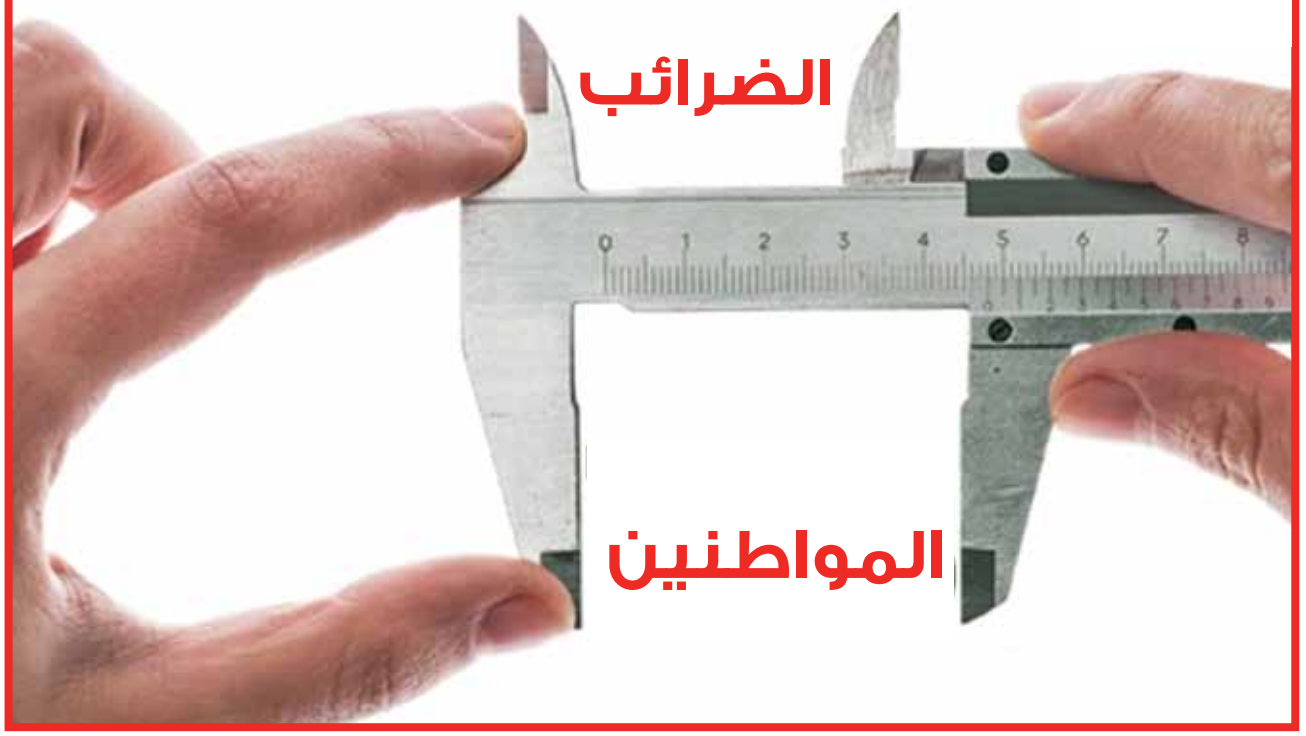

أين الدولة من توفير فرص العمل؟ 06

قراءة في «لا أحد ينامُ في المنامة» 17-15

أمسية للحيـــاة والأمل 28

موقفنا

ضد التطبيع

في الوقت الذي يجري فيه تسريب معلومات، لا تنقصها الصدقية والجدية، عن اتصالات سرية بين طهران وواشنطن، يقال إن علي ولايتي مستشار خامنئي للشؤون الخارجية هو من يمثل إيران فيها، ولا أحد يعلم ما الذي يمكن أن تفضي إليه مثل هذه الإتصالات، إن صحّ أمرها، من تفاهمات أمريكية – إيرانية، تسعى إدارة ترامب لإيهام بعض الدول العربية المتضررة من السياسات الإيرانية في المنطقة، أنها ستدخل معها في حلف ضد إيران بهدف عزلها وإسقاط النظام القائم فيها.

ولا ينفصل هذا الإيهام عن الخطاب المعلن لترامب منذ حملته الانتخابية بابتزاز دول الخليج العربي مالياً بحجة حمايتها، وهو ابتزاز ما زال يكرّره بشكل فج ومهين، والغاية واضحة، وهي أن هذا الرجل يريد استنزاف ثروات بلداننا وضخّها في الخزانة الأمريكية لإنقاذ ما تعانيه بلاده من صعوبات اقتصادية، فيما هو في الحقيقة الأمر أبعد ما يكون عن فكرة مواجهة إيران عسكرياً.

في غمرة هذا "الكرنفال" كلّف ترامب صهره كوشنر بمهمة حشد عدد كبير من الدول، بينها الكثير من الدول العربية، بالإضافة إلى إسرائيل، لاجتماع في وارسو، جمع كبار المسؤولين العرب مع بنيامين نتاهيو، ومعه أجرى بعضهم لقاءات علنية وأخرى سرية.

والملاحظ أن الشأن الإيراني لم يكن حاضراً في هذا اللقاء إلا بشكل باهت، وجرى التمويه عليه بعبارات وعناوين فضفاضة كضمان الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، فيما بات واضحاً أن الغاية الحقيقية من هذا اللقاء لم تكن سوى وضع الجميع على سكة التطبيع العلني مع إسرائيل، لدرجة بلغت معها وقاحة بعض المحللين الإسرائيليين الذين يطلون كل مساء على الفضائيات الناطقة بالعربية حد السخرية من شعوبنا بالقول: إن حكامكم جميعاً موافقون على إقامة علاقات طبيعية معنا، ولا يهمنا إذا وافقتم أم لم توافقوا.

ورغم كل هذه الجرعة العالية من الوقاحة، فإنه أمر مفهوم أن يفكر الإسرائيليون بهذه الطريقة، لكن الذي لا يمكن قبوله أو السكوت عنه أن تفكر الحكومات العربية بالمنطق نفسه: «سنقيم التطبيع رغم إرادة شعوبنا»، وهي خطوة تنطوي على استفزاز كبير لكل المشاعر ولما استقرّ من مواقف في وجدان الناس، حول عدالة قضية الشعب الفلسطيني الشقيق الذي ما زال محروماً من أبسط حقوقه الشرعية، فكيف تكافئ دولة الاحتلال بالتطبيع معها.

لقد قالها شعبنا البحريني بكل أطيافه، قبل اجتماع وارسو وبعده، وقالتها كل الشعوب العربية: لن نقبل بالتطبيع.

التقدمي

في بيانٍ للمكتب السياسي

«التقدمي» يرفض كل أشكال التطبيع ويؤكد وقوفه مع الشعب الفلسطيني

عقد المكتب السياسي للمنبر التقدمي مساء يوم السبت 16 فبراير 2019 اجتماعه العادي برئاسة الرفيق خليل يوسف الأمين العام ناقش خلاله العديد من التقارير والقضايا التنظيمية والسياسية المرفوعة إليه من لجان التقدمي.

وبمناسبة الذكرى ال 64 لتأسيس جبهة التحرير الوطني حيّا المكتب السياسي نضالات وتضحيات مناضلي وشهداء الجبهة طوال عقود من نضال الجبهة التي قدّمت عبر هذه المسيرة الشهداء والمئات من المناضلين الذين قضوا زهرة شبابهم في السجون والمعتقلات والمنافي والحرمان والفصل من العمل والتضييق عليهم بمختلف الأشكال.

كما توقف الاجتماع مطولاً أمام واقع العمل النقابي في البحرين وما يواجهه من تحديات ومحاولات إضعافه وتشتيت أركان هذا العمل، وشدّد المكتب السياسي للتقدمي على أهمية وحدة الحركة النقابية من كل الأطرٍاف النقابات والاتحادات والشخصيات النقابية والعمل معا وبكل جدية للنهوض بواقع الحركة النقابية والنأي بها عن كل ما يضعفها ويشتت جهودها.

كما توقّف أمام التحضيرات الجارية لانعقاد المنتدى الفكري الخامس في الخامس عشر من شهر مارس المقبل، وكذلك المؤتمر العام الثامن للتقدمي المقرر عقده في الخامس من إبريل القادم، وأكد المكتب السياسي ثقته في حرص أعضاء التقدمي على إنجاح هذا المؤتمر.

وناقش المكتب السياسي الوضع الاقتصادي والمعيشي لما يفرزه من تبعات من رسوم وإجراءات تلقى بظلالها الثقيلة على المواطن، خاصة في ظل عدم وضوح الرؤى والخطط والأهداف المدروسة التي تخفف من معاناة المواطنين وتوفر الحياة اللائقة لهم في الإسكان والصحة والبلديات، وفرص العمل ومحاربة الفساد ومواجهة الفاسدين بمنتهى الجرأة والحسم، مؤكداً على ضرورة المعالجة الصائبة لأزمة الدّين العام ومُحذراً من مغبة تبعاته على حاضر ومستقبل البحرين، وقال إن هذا الدّين يُحمل البلاد أثقالاً غير مسبوقة، ودعا المكتب السياسي النواب الى تحمل مسؤولياتهم في مراقبة إدارة الدّين العام وفى ما يحقق الضبط المالي ويُفعل كل أوجه الرقابة والمساءلة والمحاسبة .

وكان المكتب السياسي للمنبر التقدمي قد استهلّ اجتماعه بتجديد رفضه لكل محاولات وأشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني، وأكدّ بأن هذا الموقف ينبع من موقف شعب البحرين الثابت والراسخ من الكيان الصهيوني ورفض محاولات التطبيع معه بأية صورة كانت وبأي مستوى كان.

وأدان المنبر التقدمي ما حدث في مؤتمر "وارسو" المنعقد مؤخراً من لقاءات مسؤولين خليجيين وعرب مع رئيس وزراء العدو الاسرائيلي، مشدّداً على رفض الشعب البحريني القاطع لأي محاولات تقارب وتطبيع وإقامة مصالح وعلاقات بأي شكل من الأشكال وبأي مستوى من المستويات، ووصف أي محاولة من هذا النوع بأنها تشكل خيانة لقضية الشعب الفلسطيني التي ستظل القضية العربية الكبرى التي لا تفريط فيها رغم المحاولات المشبوهة للتخلي عن هذه القضية وجعلها في ذيل اهتمامات وانشغالات الشارع العربي، ويؤكد التقدمي على دعم نضال الشعب الفلسطيني الشقيق حتى دحر الاحتلال الصهيوني وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

في اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية

«التقدمي» يدعو للتمسك بالبحرنة وايجاد شبكات قوية للأمان الاجتماعي

في بيان بمناسبة الليوم العالمي للعدالة الاجتماعية الذي يصادفُ العشرين من فبراير أوضح «التقدمي» أن العديد من البلدان والشعوب وأحزابها السياسية ونقاباتها واتحاداتها العمالية ومنظمات المجتمع المدني فيها تحيي هذا اليوم لأهميته، ذلك أن تطبيق العدالة الاجتماعية في أي بلد يعني إلغاء الفوارق الطبقية والتمييز في المجتمع حيث تترسخ مبادئ ومفاهيم عدم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان والمساواة والتوزيع العادل للثروة.

وأوضح البيان أنه في هذا «تكمن أهمية العدالة الاجتماعية عندما تسود في المجتمع وتنبني عليها المنظومة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، النقيضة للنظام الطبقي الذي يدافع عن مصالح ومبادئ النيولبيرالية التي تمثل أسوأ ما في اقتصاد السوق وما يعنيه، لهذا تغيب العدالة الاجتماعية من العديد من بلداننا العربية بما فيها بلدنا البحرين، كما يؤكد ذلك تفاقم الوضع المعيشي والاقتصادي وازدياد الضرائب والرسوم على المواطنين ورفع الدعم عن العديد من السلع والمحروقات وغيرها، وتحميل المواطنين أعباء مالية إضافية مما يوسع من الفوارق الطبقية في المجتمع وتزداد الطبقة الفقيرة والكادحة في البلاد .

وبهذه المناسبة دعا "التقدمي" "السلطتين التنفيذية والتشريعية وقوى المجتمع البحريني إلى مواجهة جادة لكل مظاهر الخلل التي تحول دون تحقيق العدالة الاجتماعية كما يجب"، مؤكداً على أن هناك العديد من المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لابد ان تتصدر أولويات المرحلة المقبلة لتحقيق العدالة الاجتماعية بكل مقتضياتها وابعادها.

وأشار البيان إلى "أن الشعار الأممي للمناسبة هذا العام وهو "العمل لأجل العدالة الاجتماعية طريقنا للسلم والتنمية" يعبر عما يجب التأكيد عليه في البحرين في هذا الوقت حيث بتنا نشهد فيه تحديات تمس كل معانى السلم والتنمية، وفى المقدمة ما يتصل بموضوع تشغيل وتوظيف البحرينيين الذى أصبح يأخذ منحى باعثاً على قلق غير مسبوق بذريعة الحرية الاقتصادية وان التوطين لا يشجع الاستثمار، وما يترتب عليها من التخلي عن البحرنة وإفراغها من مضمونها وبشكل علني، بالأخص بعد التغيير في مواد قانون العمل الجديد في عام 2012 من قبل مجلس النواب السابق، في الوقت الذى نجد فيه الدول الخليجية المجاورة تعلن عن خطط واستراتيجيات معاكسة تجعل تشغيل المواطن في صدارة أولوياتها ".

وختمّ "التقدمي" بيانه بالدعوة ل"قيام كل قوى المجتمع البحريني بالتصدي لكل مظاهر وصور ومحاولات المساس بالسلم الأهلي والاجتماعي، واحترام الحقوق السياسية والحريات النقابية، وإيجاد شبكات قوية وفاعلة للأمان الاجتماعي، مع ضرورة المواجهة الحازمة لكل مظاهر وصور الفساد ومعها كل مظاهر التفرقة والتمييز وبث كل صور الكراهية والانقسام في مجتمعنا".

في ذكرى ميثاق العمل الوطني

دعوة لاستعادة الزخم الكبير للسنوات الأولى

قال المنبر التقدمي إن ميثاق العمل الوطني شكّل نقلة تاريخية في الحياة السياسية في البحرين وتحولاً نوعياً من حقبة قانون أمن الدولة السوداء إلى فضاء أوسع وأرحب في إشاعة الحريات العامة حيث تجسدُ ذلك في عودة الحياة النيابية وتنظيم انتخابات المجالس البلدية ومنح المرأة حقها في الانتخاب والترشح، والسماح بتشكيل الجمعيات السياسية والنقابات العمالية والعديد من منظمات وهيئات المجتمع المدني والإقرار بعيد العمال العالمي في الأول من مايو عطلة رسمية وغير ذلك من المكاسب والانجازات التي ناضلت الحركة الوطنية طوال العقود من السنين من أجلها.

وأوضح «التقدمي» في بيان بمناسبة الذكرى الثامن عشر لإقرار الميثاق أنه «كان المؤمل أن تتطور تلك المكاسب الوطنية بمزيد من الحريات العامة والديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية والتصدي للفساد والمفسدين وسارقي المال العام، وأن تتعزز حرية الرأي والتعبير والشفافية واحترام حقوق الإنسان».

ولاحظ البيان أن تداعيات أحداث عام 2011 التي جرت في نفس يوم ذكرى ميثاق العمل الوطني "لازالت مستمرة وبالأخص ما أحدثته من الشرخ والانقسام في المجتمع. ويتطلب كل هذا من جميع القوى السياسية والمجتمعية وبشكل خاصة من الدولة وإعلامها بأن تعمل على تحقيق الوئام الوطني ونبذ الفرقة والكراهية في المجتمع".

وفي تطرقه للوضع الراهن قال "التقدمي": "تأتي ذكرى ميثاق العمل الوطني وبلادنا تعيش في أوضاع صعبة، فبالإضافة للأزمة السياسية الصعبة والمعقدة، تتفاقم يوماً عن يوم الصعوبات الاقتصادية، حيث يتحمل المواطنون فشل السياسات الحكومية والأكثر من هذا عليهم أن يدفعوا من أموالهم الضرائب والرسوم، ناهيك عن رفع الدعم عن السلع والمحروقات وغيرها، وتزداد البطالة في صفوف الخريجين وبالآلاف، وهو ما كشف عنه استبيان (كتلة تقدم) المعلن عنه في المؤتمر الصحفي في 9 يناير 2019 والذي أظهر جوانب من معاناة الخريجين الباحثين عن العمل".

وأكدّ البيان على أنه في الذكرى السنوية للميثاق "تزداد التطلعات بالعودة إلى الزخم الكبير الذي حدث في سنواته الأولى بتعزيز حرية الرأي والتعبير، واحترام حقوق الإنسان

فضفضة

بعد ١٠ أعوام من الآن

عيسى الدرازي

تتواتر التصريحات من مختلف المستويات الرسمية بتعزيز أولوية العمل للبحريني. تزامنت هذه التصريحات بحملة شعبية مطالبة ببحرنة الوظائف ووضع حد لمسألة البطالة بشكل عام، وعلى وجه الخصوص وضع نهاية سعيدة لقصص العاطلين الجامعيين. تصريحات إعلامية هنا وحملات إعلامية شعبية هناك. مطالبات نيابية يقابلها وعود رسمية. النتيجة حتى الآن لم تراوح مرحلة الصبر والانتظار.

في مسألة البطالة فلنتفق بأنه ليس هناك أيما دولة لا تعاني من نسبة ما منها، وإن حدث العكس فهذا هو استثناء محدود جداً. البطالة حتمية بناء على عوامل اللعب في سوق العمل المحلي بسبب انفلات القطاع الخاص في حصد ما استطاع من أرباح دون قيود حقيقية والتزامات مجتمعية ملزم بتقديمها، وبسبب غموض آليات التوظيف في القطاع الحكومي ومحدوديتها.

يضاف إلى ذلك استحالة أن يتمكن شاب في مقتبل العمر من افتتاح مشروعه الخاص من الصفر ويؤمن له الاستمرارية والمسببات واضحة ومعروفة، كذلك أصبحت لدينا فئة عاطلة عن العمل أخرى وجديدة هم فئة المهنيين، أطباء كانوا أو مهندسين أو محاسبين وربما غيرهم. إن وجود هذا الانحراف في سير سوق العمل ليس من السهل تماماً أن يسلكه الشاب بأن يكمل دراسته الجامعة ويسير وفق خطة واضحة تمكنه من الحصول على وظيفة ملائمة.

اليوم هناك وقفة لاعتبار البحريني أولية في التوظيف، وهناك دعم رسمي لذلك التوجه، لكن ماذا سيحدث بعد عام أو عامين الآن؟ ماذا بعد خمس أو عشرة أعوام من الآن؟

بحرنة الوظائف يجب أن تبدأ بتشريعات صارمة وواضحة حتى يضمن البحريني له محط قدم في وسط هذا الملعب المكتظ أساساً، والمنافسة فيه ليس سليمة دائماً، بعدها سيكون للبحريني الفرصة المتساوية لإثبات جدارته وأحقيته بهذه الوظيفة أو تلك.

عند وجود تشريعات تؤمن الفرص للبحريني بالتوظيف وحينما تكون إعلانات التوظيف الحكومية دورية وشفافة ومعلنة بصورة كافية للجمهور، وحينما يكون هناك رقابة مستمرة وصارمة على ممارسات بعض المؤسسات الخاصة كتحايل بعض منهم على الحد الأدنى للراتب أو عدم الالتزام بموعد محدد للراتب الشهري أو التضييق غير المعلن والمباشر على البحريني في بعض المؤسسات التي يجد نفسه فيها وحيداً لا نصراً له ولا معين.

تحقيق كل ذلك يتطلب وقفة جادة لمعالجة جوهر المشكلة حتى نتضمن استمرارية مفهوم أولية توظيف البحريني، مسألة البطالة لا تحتاج لتصريحات وحملات بطولية بقدر ما تحتاج إلى خطة صريحة واضحة المعالم.

«التقدمي» يؤبن فقيده الرفيق الدكتور إسماعيل القصاب

نظّم «التقدمي» بتاريخ 10 فبراير 2019 فعالية تأبين للرفيق الراحل الدكتور إسماعيل عبدالرحمن القصاب الذي توفي في العاشر من ديسمبر 2018 بعد معاناة مع المرض.

حضر الحفل أرملة الفقيد الرفيقة هدى مرهون وإبناه، وأفراد عائلته، حيث بدأت الفعالية بالوقوف دقيقة صمت حداداً على روح الفقيد، ثم ألقى الرفيق فاضل الحليبي نائب الأمين العام للشؤون التنظيمية كلمة المنبر التقدمي التي أكدّ فيها على دور الرفيق الراحل النضالي في مختلف مراحله العمرية، منذ كان طالباً في الجامعة، مروراً بنضاله في صفوف جبهة التحرير الوطني، ومشاركته في تأسيس المنبر التقدمي وتبوأه لمواقع قيادية فيه، مشيداً بمناقبه وتفانيه وإخلاصه.

كلمة عائلة الفقيد الراحل ألقاها شقيقه النقابي الرفيق إبراهيم القصاب، الذي قال بأن علاقته بشقيقه الراحل اسماعيل ليس فقط علاقة أخوية بل رفاقية تمتد لعقود من السنين، اختلفنا واتفقنا في الشأن السياسي لمرات، كان الراحل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بجبهة التحرير الوطني البحرانية لهذا كان يرى دائماً بأن على المنبر التقدمي أن يستمر على خطها وفكرها من خلال النضال في صفوف الجماهير، وكان لديه ملاحظات وانتقادات على أحداث 2011، وطريقة إدارتها.

الدكتور حميد اليماني صديق العائلة تحدث عن معرفته بالراحل الدكتور اسماعيل منذ عام 1979 في مؤتمر الاتحاد الوطني لطلبة البحرين المنعقد آنذاك في بغداد، ولكن هذه العلاقة توطّدت في البحرين أكثر فأكثر، حيث كنا نلتقي كعائلتين بصورة شبه أسبوعية، وكان الراحل صاحب رأي وموقف في مختلف القضايا.

زميله ورفيقه في الدراسة والحزب الرفيق الدكتور علي البقارة تحدث عنه كزميل دراسة، وعن نشاطاته في الاتحاد الوطني لطلبة البحرين فرع موسكو وعن النشاط الحزبي والسياسي في صفوف "جتوب"، وتفانيه في النضال من أجل انتصار القضية التي تناضل من أجلها، مشيراً

إلى أن هذه العلاقة استمرت بعد التخرج والعودة إلى البحرين، وبالأخص أثناء انتخابات جمعية الأطباء البحرينية، بفضل علاقاته الطيبة مع العديد من الأطباء وتأثيره في صفوفهم، كما تحدث عن مساعداته للمرضى الفقراء من رواد عيادته الخاصة التي عمل فيها فترة من فترات حياته المهنية.

وفي الختام ألقى الرفيق الشاعر عبدالصمد الليث قصيدة في رثاء الرفيق الراحل.

وألفيت في الحفلة التعزية المرسلة للمنبر التقدمي من الرفيقة زينب نبوّه من رابطة النساء السوريات، والتي قالت فيها: "أتقدم بأحر التعازي من عائلة الفقيد إسماعيل الكريمة التي كان يحمل لها كل الحب والاخلاص .. ولرفاقه واصدقائه ولزوجته الوفية والمناضلة بصمت د. هدى مرهون والتي كانت خير معين له في حياته واسهاماته عامة واثناء مرضه الاخير خاصة ... كانت قريبة منه دائما تشاركه نضاله وتمده بحرارة عواطفها ومشاعرها فهي تعد نفسها جزءاً هاماً من هذا النضال ولا تعزية مهما بلغت مصداقيتها تستطيع أن تعوضها عن رحيله".

الرفيق الدكتور اسماعيل القصاب ... رحل بهدوء

في العاشر من ديسمبر 2018، رحل عنا وبهدوء الرفيق الدكتور اسماعيل القصاب بعد معاناة مع المرض، وكان رفيقنا الراحل أبو نضال قد التحق في بداية ستينيات القرن الماضي في حركة القوميين العرب، التي كانت تنشط جنباً ألى جنب مع القوى السياسية الأخرى: جبهة التحرير الوطني البحرانية وحزب البعث فرع البحرين ضد الاستعمار البريطاني والرجعية، حيث انخرط العديد من المثقفين والعمال بالإضافة للشباب والطلبة والمرأة في صفوف هذه القولى التي كانت تناضل بصورة سرية.

كان رفيقنا الراحل الدكتور اسماعيل من الطلبة في البحرين الذين انضموا إلى هذا النضال، وواصل نشاطه السياسي عندما التحق بالدراسة الجامعية في القاهرة، وهناك سوف تبدأ مرحلة أخرى في حياته وبالأخص بعد انتفاضة مارس 1965، والضربة الموجعة التي تعرضت لها حركة القوميين العرب في البحرين، وهزيمة حزيران عام 1967، ونشوء سجال فكري وسياسي في البلدان العربية، وبينها البحرين حول تبني تيار واسع من حركة القوميين العرب الفكر الماركسي.

وتحت تأثير العناصر الطلابية من أعضاء ومناصري جبهة التحرير الوطني في القاهرة، والتي كان يقيم فيها آنذاك رفيقنا الكبير الراحل أحمد الذوادي كممثل للجبهة هناك، انعطف الرفيق اسماعيل باتجاه الفكر الماركسي، وأصبح عضواً في جبهة التحرير.

في وقت لاحق سافراسماعيل إلى موسكو لدراسة الطب، حيث التحق بجامعة الصداقة التي تخرج لاحقاً منها، وتزوج هناك من الدكتورة هدى مرهون التي كانت تدرس في نفس الجامعة، وانجبت له في عام 1978ابنه البكر نضال، وبعد عودتهما للبحرين بسنوات رزقا بابنهما الثاني علاء.

وكان الفقيد العزيز من قادة الطلبة الذين ساهموا في تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في 25 فبراير 1972 في دمشق ، كمندوب عن رابطة الطلبة في موسكو.

عندما بدأ الانفراج السياسي في البحرين في فبراير عام 2001 كان رفيقنا الراحل الدكتور اسماعيل من ضمن الذين شاركوا في الاجتماع التشاوري/ التأسيسي للمنبر التقدمي الذي أقيم في نادي طيران الخليج 12 يوليو 2001، كما شارك في الاجتماعات اللاحقة لتأسيس لمنبر التقدمي، وانتخب في مجلس إدارة المنبر التقدمي في المؤتمر الثاني عام 2004، كما انتخب في المؤتمر الثالث في عام 2006 عضواً في اللجنة المركزية وأيضا في المكتب السياسي.

الذكرى العطرة والخالدة للرفيق الراحل الدكتور اسماعيل القصاب.

فاضل الحليبي

عضوا «تقدّم» ينتديان عن تحديات وفرص مجلس النواب الجديد

بتاريخ 17 فبراير 2019 انتدى عضوا كتلة «تقدّم» الرفيقان عبدالنبي سلمان وسيد فلاح هاشم في منتدى «التقدمي» حول: «مجلس النواب الجديد .. التحديات والفرص»، حيث أكدّ النائب فلاح هاشم على أهمية تعديل بعض بنود اللائحة الداخلية للمجلس التي تحدّ من أدائه لمهامه، داعياً إلى تعاون منظمات المجتمع المدني وكذلك المواطنين مع أعضاء مجلس النواب حسب دوائرهم، لتفعيل دور النائب.

وأشار النائبان إلى أن غالبية أعضاء المجلس الحالي يدخلون تجربتهم الأولى في الحياة النيابية، كما أنه لم يمض على بدء عمل هذا المجلس أكثر من شهرين، لذا فإن عنوان الندوة يطرح بالضبط ما يجب مناقشته اليوم.

وأشار النائب الأول للمجلس الرفيق عبدالنبي سلمان إلى أن أربعة تحديات يواجهها مجلس النواب اليوم هي: استعادة اللحمة الوطنية، وتوحيد شعبنا بعد الانقسام الذي حدث في عام 2011، وهناك اصرار من النواب على تجاوز ذلك، كيفية تغير الصورة النمطية عن البرلمان السابق 2014، بالحرص على أن يكون أداء النواب في هذا الفصل مختلفاً، كيفية التعاطي مع الملفات، التي تحتاج إلى أولويات في العمل البرلمان وهي عديدة، وأخيراً مدى استعداد السلطة التنفيذية للتعاون مع مجلس النواب بإنجاح بعض الملفات.

وأوضح أن أول ما طرح من قبل النواب إعادة النظر في قانون ضريبة القيمة المضافة، لأن إقرارها كان مستعجلاً من قبل أعضاء مجلس النواب السابق، وكان المؤمل أن تتراجع الحكومة عنه.

وأعطى النائب سلمان أمثلة على الملفات التي انشغل بها النواب في الفترة الأخيرة وبينها قضية البحارة التي تمس أرزاق المئات من العوائل، وقضية خريجي جامعات الطب من الصين التي أصبحت في عهدة لجنة الخدمات بالمجلس.

ووصف سلمان برنامج الحكومة بأنه أشبه بإعلان نوايا حسنة، تنقصه الأرقام والرؤى الضرورية للمضي فيه، قبل أن يتوقف عند موضوع البطالة والأرقام التي لا يفصح عنها المسؤولون في الدولة، فبدلاً من التباهي بأنه تمّ في عام 2018 إصدار رخص 54 ألف أجنبي مقابل توظيف 5 ألف بحريني، عليهم ان يكونوا جادين في توظيف الخريجين وهم بالآلاف، وتثبيت العاملين في بعض الوزارات بعد الانتهاء من فترة التدريب بالنسبة للأطباء في وزارة الصحة، والعاملين بشكل بعقود مؤقتة لسنوات متواصلة.

تهميش العمالة الوطنية

جواد المرخي

من بين التوصيات التي صدرت عن ورشة العمل المقارنة بين قانوني العمل لسنة 1976 و2012 التي أقامها المنبر التقدمي قبل عدة أعوام باشراف محامين قديرين من كفاءات «التقدمي» ضرورة التأكيد على إعادة المادة رقم 13 والتي يتضمنها قانون العمل لعام 1976 والتي الغيت من قانون العمل 2012، وتتعلق هذه المادة بالبحرنة وإعطاء الأولوية في العمل والتوظيف للعمالة الوطنية، ومن التوصيات أيضاً إعطاء الأولوية للعمالة الأجنبية حين تنشأ ضرورات للتسريح، للحفاظ على العمالة الوطنية.

ما تشهده الساحة اليوم هو ميل شركات ومؤسسات خاصة، لا بل القطاع العام نفسه إلى عدم إعطاء أولوية التوظيف للمواطن، ومثال ذلك ما يدور من حديث عن جعل العمالة الاسيوية طاغية في مطار البحرين الدولي وغيره من الشركات والمؤسسات.

وهكذا نجد أن إلغاء المادة 13 من قانون العمل لعام 2012 أدى إلى زيادة البطالة في البحرين جراء التوظيف المستمر للعمالة الأجنبية في القطاعين العام بدون رادع ، وبشكل مناف لما جاء في دستور مملكة البحرين وفي ميثاق العمل الوطنّي اللذين يؤكدان على ضرورة أحقية المواطن البحريني في حصوله على العمل والوظيفة لما تقتضيه الكرامة ويستوجبه الخير العام وأيضاً لكل مواطن الحق في العمل وفي اختيار نوعه وفقاً للنظام العام.

في هذا المجال نحيي جهود رفاقنا في كتلة «تقدّم» البرلمانية في تحركهم الحثيث للدفاع عن العمالة الوطنية والبحث في حلحلة بعض المفاصل التي تعترض توظيف العمالة الوطنية بحجج وهمية، كما هو الحال مع خريجي كليات الطب من الجامعات الصينية وغيرهم من العاطلين، والذي ينجم عنه تفاقم معاناة الآلاف من الأسر البحرينية وزيادة الفقر في البحرين.

والحق أن من أسباب هذا التمادي في تهميش العمالة الوطنية وضع الحركة النقابية الضعيفة والمتفككة وفقدانها لخطة واضحة للدفاع عن مصالح الطبقة العاملة الوطنية، خاصة مع الخلافات العميقة داخلها بعد تغلغل مظاهر الانتهازية في قلب الحركة النقابية وتقسيمها على شكل طائفي، بعد احداث عام 2011 والابتعاد عن شعار الوحدة النقابية والعمالية الذي كان الضمان لقوة الحركة النقابية، مما سهّل تمادي بعض القوى النافذة التي تستفيد من جلب العمالة الأجنبية بشكل عشوائي وبدون مراعاة لخطر البطالة.

في ملتقى التقدمي: المرباطي والوداعي يتحدثان عن الصعوبات والتحديات التي تواجه العمل البلدي

قال عضو المجلس البلدي في المحافظة الشمالية د. شبر الوداعي أن من بين المعوقات التي تحد من تفعيل صلاحيات المجالس البلدية الاشكالية القانونية، حيث القوانين التي تحد من الاستقلالية المالية والقانونية لهذه المجالس، إذ لابد أن تكون للمجلس البلدي الشخصية الاعتبارية، أضف لذلك المعوقات المالية.

أما رئيس المجلس البلدي في محافظة المحرق غازي المرباطي فتوقف عند ما وصفه ب"فلسفة الإيرادات للبلدية، حيث أن المواطنون والمقيمون يدفعون الرسوم، وبالتالي يجب أن تعود عليهم بالنفع من خلال الخدمات العامة، وأن تلامس الواقع، لأنهم يدفعون الرسوم لجهات عدة، مشيراً إلى أن صندوق الموارد البلدية المشتركة لا يتمتع بالشفافية، ففي عام 2017 كان المبلغ فيه 9 مليون دينار من الايرادات، متسئلاً عن السبب في عدم توظيف تلك الأموال لتنفيذ المشاريع.

جاء ذلك في ندوة "التحديات التي تواجه العمل البلدي"، التي نظمها ملتقى التقدمي بتاريخ 3 فبراير 2019، حيث تحدث د. الوداعي عن القضايا الشائكة التي تواجه العمل البلدي، طرح العديد من الاتجاهات المحورية للصلاحيات والمواد الهامة في قانون العمل البلدي، متوقفاً أمام كيفية تطوير الاتجاهات المحورية للصلاحيات في قانون البلديات، والاستفادة من الدول المجربة في هذا الاتجاه.

كما تحدث عن المشاريع والرغبات المطروحة من قبل أعضاء المجالس البلدية وهي اقتراحات لا تعطي المجالس البلدية الصلاحية من أجل أن تتأخذ القرارات وتنفذ المشاريع المقرة.

وحول أهم التحديات التي تواجه العمل البلدي، وتعيق أداء النائب البلدي عن تحقيق البرنامج الذي وعد الناخبين به، أشار إلى: عدم وضوح الرؤية القانونية، تدخل بعض أعضاء مجلس النواب في اختصاصات أعضاء المجالس البلدية، صعوبة وضع البرامج المشتركة بين العضو البلدي وعضو مجلس النواب في نفس الدائرة.

أما الأستاذ غازي المرباطي رئيس مجلس المحرق البلدي، فتحدث عن انطلاقة العمل البلدي في البحرين والمنطقة منذ عام 1919، حيث كان شيء متقدماً بالبحرين، في ظل التخلف في العديد من بلدان المنطقة وبعض البلدان العربية، مشيراً إلى أننا نحتفل هذه السنة بمرور مائة عام على العمل البلدي في البحرين.

وأشار المرباطي إلى أن ميثاق العمل الوطني ارتكز على الانتقال من المركزية إلى اللامركزية في العمل البلدي، واعتماد البحرين على الاختصاصات، وتوزيع الاختصاصات بين الجهات المنتخبة (مجلس النواب والمجالس البلدية) في ظل اشراف ورقابة الدولة، وأن الميثاق أعطى صلاحيات للمجالس البلدية وما تقوم به من عمل يتطلب مزيداً من الصلاحيات، ولكن هناك ظروف تعيق هذا الأمر، بينها عدم ثبات أجهزة الدولة في التنسيق مع المجالس البلدية، حيث يغيب هذا التنسيق أحياناً.

وحول ما وصفه المرباطي ب"فلسفة الرقابة"، دعا إلى التفريق بين النيابة العامة والنيابة الخاصة، البلدي يعمل فقط في دائرته لهذا تسهل متابعته ومراقبته من قبل أبناء دائرته، على خلاف النائب في البرلمان، وطالب بتشكيل هيئة شعبية لمراقبة أداء المجالس البلدي، وأن تحافظ المجالس البلدية على استقلاليته، وعد المساواة بين الجهاز التنفيذي والبلدي، فالمجالس البلدية لا تنفذ، إنما تطالب وتتابع، ولا تأتمر بأوامر من خارجها، كما أكدّ على أهمية وجود إرادة سياسية بأن يتقدم العمل البلدي والخدمات.

بصراحة

أين الدولة من توفير فرص العمل؟

فاضل الحليبي

عندما يسمع أي إنسان من دولة أخرى عن البحرين ويعرف بأنها من الدول الخليجية، يعتقد بأنها دولة نفطية تنتج يومياً آلاف وربما ملايين من براميل النفط.

لهذا يسود الاعتقاد بأن المواطن البحريني يعيش في بحبوحة ورفاهية، لأنه لا يعرف الواقع الذي يعيشه المواطن ومعاناته من أجل توفير لقمة العيش لأسرته، حتى عندما كانت هناك وفرة مالية في السنوات السابقة للأزمة المالية العالمية في عام 2008، لم يتمتع المواطن بتلك الوفرة المالية، حتى لو كانت أوضاع البعض المالية مستقرة، وزيادة علاوات المعيشية من قبل بعض الجهات الحكومية (علاوات التقاعد/ الغلاء/ الإسكان)، وأصبح المواطن اليوم يدفعها إلى الدولة على شكل ضرائب، رسوم وغيرها.

الدولة تأخذ المواطنين إلى المجهول، فلا يعرفون ماذا يخبئ لهم المستقبل، ويقلقون من الحاضر لأنه يضغط عليهم في حياتهم العملية والمعيشية، حيث يراد منهم أن يكونوا شركاء للدولة في انتشالها من أزمتها المالية وتأخذ منهم الضرائب والرسوم ولا توظف أبناءهم الخريجين والعدد يزاد سنة عن سنة، وهذه مسؤولية أخلاقية ودستورية، حيث تنص المادة (13) الفقرة (ب) على أن "تكفل الدولة توفير فرص العمل للمواطنين وعدالة شروطه".

فأين الدولة من هذا الالتزام في توفير فرص العمل للخريجين، والأغلبية منهم جامعيون (يمكن مراجعة استبيان كتلة تقدّم حول البطالة المنشور في العدد الماضي من "التقدمي" للإطلاع على حجم البطالة في البحرين). وهناك العديد من الوظائف التي يعمل فيها الآلاف من الأجانب في القطاعين العام والخاص، بالوسع أن يحل محلهم الخريجون من أبناء البحرين من خلال وضع خطة واضحة لتحقيق ذلك مثلما بدأ في بعض البلدان الخليجية (السعودية والكويت)، خاصة وأن وسائل التواصل الاجتماعي تضج اليوم بالمطالبات حول بحرنة الوظائف في عام 2019، فهل تتعاطي الدولة بإيجابية مع هذا الحراك ذي الأبعاد الوطنية والاجتماعية والأخلاقية أم تدير ظهرها له؟

وبدلاً من التسويف والمراوغة وإعطاء أرقام عن البطالة بعيدة عن الواقع من قبل هؤلاء المسؤولين في الدولة، هل يبدا المسؤولون الخطوة الأولى في وزارات الدولة التي يعج بعضها بالعمالة الوافدة (التعليم والصحة) وغيرها، ويتم توظيف العاطلين من العمل من الأطباء والممرضين والمدرسين وبعدها العمل على التخصصات الأخرى، بوضع برنامج خاص يتضمن تاريخاً محدداً للانتهاء بعد إنجاز برنامج التأهيل والتدريب للاستفادة من أموال (تمكين)، والمؤمل أن يستمر أعضاء مجلس النواب في الضغط بهذا الاتجاه، خاصة وأننا نعلم بأن هناك العديد من الملفات العالقة يتوقف حلها على توفر الإرادة السياسية.

كتلة «تقدّم» ومجموعة من النواب الوطنيين تستنكر ما جرى من لقاءات في وارسو

استنكرت «كتلة تقدم» البرلمانية ومعها مجموعة من النواب الوطنيين ما جرى من لقاءات وصور جماعية لعدد من الوزراء العرب، ومن بينهم وزير خارجية مملكة البحرين وبحضور رئيس وزراء الكيان الصهيوني، مؤكدين على ضرورة الالتزام بموقف مملكة البحرين الرسمي المعلن تجاه القضية الفلسطينية، والمستند على الثوابت والمواقف التاريخية لشعب البحرين الداعم للحق الفلسطيني العادل في استعادة الأرض الفلسطينية، وعلى قرارات القمم العربية في هذا الشأن والمبادرة العربية لحل القضية الفلسطينية وحق الشعب العربي الفلسطيني في استعادة ارضه وعاصمتها القدس الشريف من دنس الاحتلال الصهيوني.

الموقعون:

النائب عبد النبي سلمان
النائب يوسف زينل
النائب ممدوح الصالح
النائب كلثم الحايكي
النائب فلاح هاشم

قضية الأطباء المؤقتين والممرضين العاطلين في لقاء مع وزيرة الصحة

تواصل «تقدّم» اجتماعاتها مع مجموعات مختلفة من خريجي تخصصات التمريض الباحثين عن عمل، والذين لازالوا يسعون بجدية إلى الالتفات لمعاناتهم، وضرورة نيلهم الحق في العمل في مركز السلمانية الطبي وبقية المستشفيات والمراكز الصحية في البحرين، والذين ابدوا امتعاضهم الشديد من بطء الاجراءات وعدم وجود خطط واستراتيجيات تدريب واحلال للكفاءات البحرينية، حيث استعرضوا خلال هذه اللقاءات معاناتهم في البحث عن فرص عمل في القطاعين العام والخاص، والتحديات التي يواجهونها من العمالة الأجنبية.

وفي ذات السياق تواصلت الكتلة النيابية مع مجموعة من الأطباء البحرينين العاملين بعقود مؤقتة داخل مركز السلمانية الطبي من الذين لازالوا يبحثون عن رؤية واضحة من قبل وزارة الصحة تجاه مسألة تدريبهم بشكل أكثر جدية من قبل الوزارة ومن ثم تثبيتهم قبل حلول المهلة النهائية المحددة لبرنامجهم التدريبي مع انتهاء شهر اكتوبر القادم.

وكان هذا الموضوع مدار نقاش في لقاء نواب "تقدّم" ونواب آخرين مع وزيرة الصحة، التي عبرت عن تجاوبها تجاه مسألة تدريب وتوظيف البحرينيين في مختلف التخصصات الطبية والتمريضية التي يحتاجها مستشفى السلمانية الطبي، وبما تسمح به الميزانيات المرصودة وحاجة وزارة الصحة المتزايدة لمواجهة الضغط على الخدمات الصحية، مؤملة أن يسهم برنامج الضمان الصحي في استيعاب اكبر عدد من الأطباء والممرضين من ابناء البحرين .

وستستمر «تقدّم» في جهودها من اجل انهاء معاناة ذوي الاختصاصات المعنية واعطاءهم الأولوية في العمل في بلادهم.

مطرقة البرلمان

التعاون بين السلطتين على المحك

عبد النبي سلمان

تزدحم أجندة مجلس النواب الجديد بالعديد من المقترحات والأفكار، والنواب مأخوذون بحماس ما بعد فترة الانتخابات النيابية لتلبية الوعود التي قطعوها أمام ناخبيهم، كما إلى أنمحاولات النواب لتغيير الصورة النمطية التي كرّسها مجلس النواب السابق وما فرضه من تشريعات وقيود اضافية وتراجعات على العمل البرلماني، هو امر آخر يفرض بدوره على مجلس النواب الجديد بجميع اعضائه بمختلف توجهاتهم.

تحديات كبرى وعقبات ليس من السهل تجاوزها، إلا أن ما يبعث على التفاؤل حتى اللحظة وبعد مرور شهرين من العمل النيابي في صورته الجديدة، هو أن وحدة مواقف النواب بصورة عامة في معظم الملفات المعيشية لا زالت حتى اللحظة عامل قوة للمجلس الحالي، ومن العبث التفريط فيها، لا سمح الله، بخطوات متسرعة اوغير مدروسة.

فقد تجسدت وحدة الموقف النيابي حتى اللحظة في العديد من المحطات خلال الفترة القصيرة المنقضية من عمر المجلس، وقد ظهر ذلك جلياً اثناء التعاون في طرح ملفات معيشية ومطلبية كقضية البطالة، وقضية البحارة وما ترافق معها من ارهاصات شعبية فرضت حضورا لهذه القضية بشكل شبه يومي في أروقة ولجان وكتل المجلس في تسابق محمود لحلحلة هذا الملف، رغم عدم تجاوب الجانب الرسمي الذي لا زال ملتزماً الصمت ولم يقدم جديداً منذ طرح هذا الملف بقوة منذ الجلسة الأولى لدور الانعقاد الأول.

كذلك هو الحال مع ملف خريجي الطب من الجامعات الصينية الذي لازال يجد صداه لدى غالبية النواب وفي لجنة الخدمات ويمتد مع القضايا الأخرى عبر المنتديات والندوات والفعاليات الأهلية في مختلف مناطق البحرين، كالملفين الصحي والإسكاني وملف توظيف الأطباء والممرضين.

أمر آخر ربما أصبح ملموساً ايضا وهو ما تمخضت عنه الجلسات الماراثونية اثناء مناقشة برنامج عمل الحكومة، والذي توحّدت فيه الإرادة النيابية بشكل كبير رغم قناعة الجميع تقريبا أن البرنامج لم يكن سوى عناوين لحسن النوايا ولم يحتوِ تفاصيل مهمة، لكن الحوارات بين مجلس النواب والحكومة فرضت واقعاً تحوّل معه البرنامج بصورته الشكلية إلى تحدٍ كبير أمام الحكومة خاصة في ملفات ترتبط وثيقا بصلب عمل الحكومة خلال الفترة القادمة ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما فرضه النواب مجتمعين لإيجاد حلول عاجلة للملف الإسكاني وكذلك ضرورة معالجة ملف البطالة والحفاظ على المكتسبات التي تحققت وعدم فرض ضرائب جديدة على المواطنين خلال السنوات الأربع القادمة على الأقل.

من كل ما سبق نستطيع ان نجمل الحراك البرلماني خلال الفترة القليلة الماضية بأنه حراك اتسم بوحدة المواقف، والذي توحدت معه الارادة الشعبية الداعمة حتى الآن لتلك الملفات، حيث تقلصت الحساسيات السابقة المعيقة لوحدة الموقف الشعبي إلى حد بعيد لدى الشارع والنواب على حد سواء، وهذا امر يجب اسناده ودعمه باستمرار.

وتستطيع الحكومة، إن أرادت، أن تعززه بتعاونها بشكل أكبر وعبر إرادة سياسية لا زلنا نفتقدها في الكثير من المواقف، إلا أننا نسعى من خلال ما يتيحه العمل البرلماني لنا من قنوات الى تعزيز الحاجة اليها للنهوض بالوطن إلى حال أكثر ايجابية.

فلاح هاشم يدعو لتضافر الجهود لتوظيف البحرينيين وتشكيل لجنة تحقيق برلمانية حول الموضوع

أكدّ عضو كتلة «تقدّم» النائب سيد فلاح هاشم على أهمية توجيه سمو رئيس الوزراء بإطلاق البرنامج الوطني للتوظيف بناء على توصية اللجنة التنسيقية برئاسة سمو ولي العهد الذي يهدف إلى إعطاء الأفضلية للمواطن البحريني وتعزيز فرصه ليكون الخيار الأول في التوظيف، وهو توجيه يتوافق مع ما يتطلع إليه المواطنون والذي عبر عنه النوّاب، سواء في جلست المجلس، أو في لقاءاتهم مع المسؤولين في الحكومة.

وقال هاشم إن ما تضمّنه هذا التوجيه من مبادرات مترابطة بعملية التشغيل وإيجاد فرص عمل لائقة للمواطنين لمعالجة هذه المشكلة التي هي مصدر قلق وأرق لكل البحرينين، يتطلب تضافر الجهود من الجميع وخاصة من السلطتين التشريعية والتنفيذية للعمل على حسن تطبيق ماجاء فيه، كي يحقق الغايات المرجوة منه.

كما أن هذا التوجيه يؤكد على أهمية ما طالب به مجموعة من النواب بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية في هذا الشأن لتفعيل دور السلطة التشريعية في الرقابة ولمراقبة أوجه الضعف والخلل، مشيراً إلى أن هذه القضية تتطلب تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني المعنية، وتحملها لمسؤولياتها في التوجيه والرقابة، وكما تتطلب التعاون الايجابي من جميع الأطراف والجهات المعنية.

ملف خريجي الجامعات الصينية مدار بحث في لجنة الخدمات

تصدى أعضاء «تقدّم» ونواب آخرون لملف خريجي الجامعات الصينية البحرينيين من اصحاب التخصصات الطبية، في الاجتماع الموسع للجنة الخدمات بمجلس النواب البحريني، والذي خصص لمناقشة هذا الموضوع.

وكان نواب الكتلة قد أثاروا هذه القضية بقوة داخل أكثر من جلسة من جلسات مجلس النواب الأخيرة، مطالبين بضررورة انصاف خريجي تلك الجامعات بمعادلة شهاداتهم أسوة بما تقوم به الدول الشقيقة المجاورة، واعطاءهم حق استكمال سنة الامتياز داخل مركز السلمانية الطبي. حيث دافع اعضاء الكتلة ومعهم بقية النواب المهتمون بالقضية عن الملف وبحضور ممثلين عن وزارتي التربية والتعليم والصحة، حيث استمعت اللجنة لمرئيات الوزارتين، ومن ثم باشرت الاجتماع مجدداً مع الطلاب للاستماع لوجهات نظرهم بغية التوصل مع الجهات المعنية لإيجاد حلول عادلة ومنصفة تأخذ في الاعتبار مصلحة جميع الطلبة والمصلحة العامة.

علما بأن اعضاء «كتلة تقدم» قد استثمروا زيارتهم الأخيرة لسمو رئيس مجلس الوزراء لطرح مسألة التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وطرحوا مع بقية زملائهم من النواب الحاضرين قضية خريجي الجامعات الصينية، حيث تمّ الاتفاق على ضرورة ايجاد حلول عاجلة ومنصفة لهذا الملف، وبما ينصف الطلاب وأسرهم ويحقق المصلحة المشتركة للجميع، ويسهم في الإستثمار الأمثل للطاقات والكفاءات البحرينية في سوق العمل في البحرين.

عبدالنبي سلمان يجتمع مع العاطلين من مهندسي الطيران والفنيين من برامج «تمكين»

اجتمع عضو كتلة «تقدّم» النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان ممثلا عن الكتلة مع ممثلين عن خريجي برامج «تمكين» من العاطلين من مهندسي الطيران والذي استكملوا أكثر من خمس سنوات من التدريب في شركة طيران الخليج، وذلك للوقف على أسباب عدم استيعابهم كموظفين دائمين لدى شركة طيران الخليج، خاصة وانهم قد وقعوا مبدئياً على عقد يشتمل على التدريب للمدة المذكورة مع ضمان حق التوظيف لهم.

ووعد سلمان بأن تتبنى الكتلة قضيتهم أمام الجهات المعنية بما يحقق مصلحة الخريجين من أبناء البحرين ويساعد على إحلالهم بشكل منهجي محل العمال الأجانب الذين تغصّ بهم أقسام الشركة.

فلاح هاشم يدعو لتضافر الجهود

«تقدّم» تشارك بفعالية في اللقاء النيابي مع سمو رئيس الوزراء

شارك نواب كتلة «تقدّم» في اللقاء النيابي الموسع مع سمو رئيس مجلس الوزراء الموقر، والذي ضمّ سبعة نواب يتقدمهم النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبد النبي سلمان، وعقد بمقر اقامة سموه بالرفاع، حيث جرى استعراض موسع لمختلف القضايا المطروحة على الساحة في البحرين وفي مقدمتها ملفات معيشية ومطلبية مثل ملف العاطلين عن العمل وملف الإسكان والخدمات الصحية والتعليمية، علاوة على ملف خريجي الجامعات الصينية وملف الصيادين من اصحاب سفن الصيد المتوقفة لفترة تجاوزت الثلاثة شهور حتى الآن.

وقد أكدّ أعضاء مجلس النواب الذين حضروا اللقاء أنهم طرحوا تلك القضايا امام سمو رئيس الوزراء بكل وضوح وشفافية، مؤكدين على ضرورة إيجاد حلول سريعة ومدروسة ومستدامة لها. وقد تمّ التوافق على العمل المشترك بين الحكومة والسلطة التشريعية خلال الفترة القليلة القادمة لسرعة تجاوز تداعيات مراوحة تلك الملفات دون حلول عملية وواقعية، والتأثير السلبي لذلك على مجمل الأوضاع المعيشية والاجتماعية للأفراد والأسر في البحرين، خاصة في ظل الأوضاع المعيشية الصعبة الراهنة.

لقاءات مع جمعيات الصيادين والحكومة حول «بوانيش» صيد الروبيان

في إطارالجهود النيابية والمجتمعية لحلحلة ملف توقف سفن (بوانيش) صيد الروبيان عن العمل، تتواصل جهود كتلة «تقدّم» النيابية مع مختلف الجهات المعنية في الدولة للضغط بصورة تكفل عودة أصحاب هذه السفن إلى مزاولة عملهم، في وقت لا زالت قضيتهم تحتل موقع الصدارة ضمن اهتمامات عديدة في المجالس والمنتديات الأهلية.

عضو الكتلة النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان تداخل في مجلس النواب مطالباً بسرعة إيجاد حلول عملية وواقعية تنصف البحارة وأسرهم، وتحافظ على مخزون الثروة السمكية، وهو الأمر الذي يتطلب سرعة قيام الجهات المعنية في الحكومة بتنظيم مهنة صيد الروبيان والأسماك، بما يحافظ على الثروات الوطنية وعدم استنزافها عبر طرق غير مشروعة، وفي ذات الوقت ينصف البحارة وأسرهم ويعزز من الأمن الغذائي للمواطنين ويحافظ على استقرار الأسعار في السوق المحلي.

كما كان كان هذا الملف واحداً من الملفات التي طرحها نواب الكتلة بكامل تفاصيله خلال اللقاء النيابي الموسع مع سمو رئيس مجلس الوزراء بتاريخ 21 فبراير 2019 الماضي، حيث تمّ التأكيد من قبل المجموعة النيابية على ضرورة الإسراع في إيجاد حلول عملية وواقعية تنصف جميع الأطراف وتحافظ على الثروات البحرية من العبث والضياع.

عصمت الموسوي تتحدث عن «بروفايل» آخر لجاسم مراد

أغنى الصحافة وشجّع الصحفيين وأحيا الأمل في نفوسهم

قدّمت الكاتبة الصحفية عصمت الموسوي محاضرة في مجلس بن رجب عن علاقة الراحل جاسم مراد بالصحافة والثقافة، مسلطة الضوء على جوانب أخرى من اهتماماته.

تقول الموسوي: «عرفت جاسم مراد عن قرب وشهدت بعض أداوره وكنت وسيطة في بعضها بحكم موقعي في الصحافة، قد لعب جاسم مراد أدواراً سياسية واقتصادية وخيرية كبيرة وإيجابية في مجتمع البحرين وفي مراحل مختلفة مذ كان فتى في المراهقة ولغاية الأشهر الأخيرة من مرضه، وقد رأيناه في بعضها جندياً معلوماً وأخرى مجهولاً ومؤثراً.

وأشارت إلى أن الراحل "رأى في الصحافة معوضا "نسبياً» عن غياب الحياة النيابية في السبعينات والثمانينات والتسعينات، ولرجل حيوي وجريء وشجاع ومبادر وشديد الاندماج بمجتمعه وساع الى الإصلاح والتغيير كجاسم مراد، فمن الصعب ان تأخذ منه دوره النيابي والسياسي المؤثر وأن تطلب منه السكوت المطلق، فكان أحد القلائل الذين اجتهدوا بكل الطرق لتوصيل أفكارهم واختراق طوق الجدار الصلب في مرحلة امن الدولة والتي انعكست على الصحافة وعلى كل مناحي الحياة».

ضد تسييس الدين وتديين السياسة

وأوضحت المحاضرة: «بحكم تاريخه الطويل وخبرته السياسية وعمله التجاري وقراءاته وأسفاره واتساع شبكة علاقاته وتواصله مع الناس ومتابعته للصحافة اليومية، وجد الصحفيون البحرينيون أنفسهم أمام رجل وطني وسياسي وحكيم بامتياز، تمتّع بحس عالٍ من المسؤولية الاجتماعية تجاه بلده وأبناء شعبه، آمن بالفكر الإنساني الكوني الليبرالي وبحرية الصحافة وحرية الدين والمعتقد وبحق البشر في الاختلاف، وبشّربهذه المبادىء في كل المحافل، وحـارب وتصدى للانغلاق والتطرف والتعصب وتديين السياسة وتسييس الدين، كان معارضا لتأسيس الجمعيات على أسس دينية او مذهبية وهو أول من نبَّه إلى مخاطرها على الوحدة الوطنية، رأى في الصحافة وسيلة لتغيير الشعوب وتطويرها وتحديثها وتأهيلها لدخول الانتخابات ولتقبل كل ما هو جديد، فالشعوب غير الواعية، برأيه، لا يُعول عليها في إيصال الاكفاء إلى البرلمان، وقد كان صاحب الرأي الأكثر صراحة ما جعل الصحافة تتحسب له وفي الغالب تحذف او تخفف تصريحاته.

كلام سيأتي وقته

ولعلنا نلحظ أن جاسم مراد تجلى في ذروة انفتاح الصحافة البحرينية بعد انطلاق المشروع الإصلاحي لجلالة الملك، فشارك بقوة وبكثافة عبر المقالات والندوات والنقد والتحليل، وكنا نقرأ له ربما في يوم واحد في أكثر من صحيفة، وهكذا استعاد الرجل الوهج الذي عرّفه في شبابه وأغنى الصحافة بمساهماته الثرية والجريئة، وقد كان الصحفيون يشعرون في حضرته بالفرح والانتشاء لأنه يمدهم بمادة دسمة وساخنة وقوية وكلام واضح وصريح وملهم، تفتح الطريق أمام ما غلق عليهم، بعضها للنشر وبعضها خارج النشر (أوف ذا ريكورد).

يقول جاسم "سيأتي وقت هذا الكلام ذات يوم في المستقبل". إنه كلام للتاريخ، وفي الغالب يتحول الصحفيون إلى أصدقاء أو رواد دائمين في مجلسه أو مكتبه، يلوذون به في المحن وفي أوقات التصحر وجفاف الأخبار والمعلومات ،يستمدون المادة الصحفية والأمل في جدوى الاستمرار في هذه المهنة الشائقة، لكن وللأمانة فإن جاسم قد يسبب الخضة أو الصدمة لمن يلتقيه لأول مرة، بسبب جرأته غير المألوفة في مجتمعنا، ولأن ديدنه القفز على الحواجز والحدود دون أن يلجأ إلى الترميز او المجاز أو التورية الأدبية أو الأطر الصحفية الصارمة التي تخضع لها صحافتنا.

ينطلق جاسم في تعاطيه مع الصحافة كما سبق وقلت من فكر حر يؤمن بالديموقراطية وحرية التعبير والعدالة والمساواة وسيادة القانون وحقوق الانسان وحقوق المرأة، «نعم أنا علماني وأعتز بانتسابي إلى العقلانية والعلم والتطور والرقي والحضارة». يرد على منتقديه، كان يبادر بنفسه ويهاتف الصحفيين ويقترح عليهم المواضيع الجديرة بالكتابة ويصحح ويعدل ويوجه ويشجع ويعقب على أخبارهم ومقالاتهم وتقاريرهم ويضيف إليها ويرفدهم بما لديه من معلومات حول هذه القضية او تلك، وذلك انطلاقا من تبحره وعمق معلوماته في القضايا والقوانين والتشريعات المحلية والتي يعرف خلفياتها واسرارها وما طرأ عليها من تغيير، مستعينا بذاكرة حديدية لم تخبو ولم تتراجع مع تقدمه في العمر، ولا ننسى بالطبع تلك التجربة البرلمانية القصيرة التي عاشها في برلمان 1973 وما دار فيه من نقاش وما اقترحه وزملاءه من مشاريع قوانين وتشريعات، ووفقا لمؤرخي هذه الفترة من عمر المجلس فقد كان جاسم أحد المتحدثين الأساسيين فيه والذين اختاروا المنحى الليبرالي في مناقشة القضايا الاجتماعية المتعلقة بالتعليم والصحة وتقديم الخدمات وغيرها.

قارىء نهم

كما أنه قارئ نهم، يختار ما ينسجم مع فكره المستنير من كتب وأطروحات، وينسخ الصفحات التي يجدها مهمة بالعشرات ويوزعها على زملائه ورواد مجلسه وضيوفه والصحفيين، لا يترك بيته ولا يزور أحداً إلا وهناك عدة مقالات

في جيبه، لم يتوقف عن هذه العادة إلا عندما حلّ الانترنت مكان الورق.

إذا استحسن قول كاتب بحريني في مقال او حتى ندوة لضيف زائر للبحرين سرعان ما يحاول التعرف عليه ونسج علاقة معه ودعوته الى بيته والتحاور معه، على سبيل المثال ضيوف مركز الشيخ إبراهيم الثقافي، وفي الغالب كان يقرأ لهم بعد مغادرتهم فينتابه الندم انه لم يلتق بهم ولم يعلمه احد بوجودهم ، حتى المختلفين معه لا يتخذ منهم مواقف عدائية او مقاطعة، يعاملهم على نفس القدر مع صحبة أفكاره، بل أن مجلسه ضمّ كل أطياف المجتمع البحريني على اختلاف توجهاتهم السياسية.

ذات مرة حضر أحد القوميين المصريين البارزين إلى البحرين ضيفا على جمعية سياسية ، فدعاه جاسم إلى بيته وتناقشا حول المرحلة الناصرية وأخطاءها، وقد اختلف جاسم كثيرا مع هذا الضيف حتى بدا انهما على طرفي نقيض ولن يلتقيا، علمت لاحقا أن جاسم زاره في الفندق قبل مغادرته البلد وودعه ودفع فاتورته وطلب منه معاودة الزيارة على ان يقيم معه في بيته، حين نسمع هذه الحكايات نقول: إنه جاسم مراد

الضرائب آتية

واستطردت المحاضرة مضيفة أن جاسم مراد كان «يناشد الصحفيين دوماً التوجه إلى المواضيع الجوهرية ذات البعد الاقتصادي، الاقتصاد يا سادة يجب أن ينال المساحة الأكبر في صحفكم وليس الرياضة أوالفن او غيره، الضرائب آتية لا محالة ولكن لا بد وأن تترافق مع التمثيل السياسي الذي يتضمن المساءلة والمحاسبة، ورفع الدعم عن الجميع ليس مساواة، بل يجب أن يكون هناك دعم للمحتاجين فالدعم لمن يستحقه فقط، والسكن والعمل والراتب المجزي حقوق دستورية مكفولة للمواطن البحريني، على الشعوب أن تستعد للأيام العجاف المقبلة، «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم"، محذراً من تسويد الصفحات بالمواضيع التافهة بغرض الإلهاء وصرف انتباه الشعب عن حقوقه الأساسية، لا يتوانى ولا يعتذر عن المشاركة في أي ندوة أو حوار إيمانا منه أن لديه ما يضيفه، لا يرد أي صحفي سائل في أي شأن محلي، يراه نوعا من الواجب الوطني والالتزام السياسي، يحمل تعقيباته معه في ورقة خشية النسيان، قائلاً: «لا أجيد الارتجال».

لا تشكوا بل انقلوا شكواكم

كان المبدأ الدائم للراحل حسب الموسوي الذي ظلّ يكرره: «لا تسكتوا، ما ضاع حق ورائه مطالب، اذهبوا إلى المحاكم، إلى أجهزة المظالم، حماية المستهلك، الصحافة، أي جهة تحمل لواء الدفاع والتصدي للخروقات، فالتبرم لا يفيد بل توصيل المظلومية والإصرار والصبر والجهاد على نيل الحقوق "وهل تؤخذ الدنيا إلا غلابا»؟، في عز ازمته المرضية واثناء اقامته في قسم العناية المركزة قبل وفاته، زاره أحد الأصدقاء، فبادره جاسم بالقول "أين وصلت قضيتكم في المحكمة؟ ثم واصل "لا تستسلموا ولا تستعجلوا».

وترى عصمت الموسوي أن جاسم مراد أثرّ كثيرا في الصحافة، ليس انطلاقا من المبادئ التي امن بها فحسب بل لأنه جاهر بها وبثها وطبقها وكان سبّاقا في طرحها، وعرَض نفسه للهجوم من قبل من يعتبرون انفسهم اوصياء على الدين، ومن انصهاره بهموم مجتمعه، ومن صدقه ومن مساحة الجرأة التي اقتطعها لنفسه وفرضها وكرسها على الجميع دون خوف او تردد، ومن قلبه الإنساني الكبير، ومن عطاءه ومساهماته للمحتاجين، ومن بحثه الدائم عما يفيد وينفع ويصلح المجتمع، كان إذا وجد الصحيفة مليئة ودسمة قال: إن صحيفتكم تساوي دينارا وليس 200 فلس، اما اذا جاءت هزيلة فيقول «اليوم جريدتكم لا تساوي فلسا، واذا استمر الحال على هذا المنوال فسوف نلغي الاشتراك ونتوجه الى صحيفة أخرى» .

الكلمة سلاح في النضال

وختمت المحاضرة باستذكار لقاء صحفي أجرته معه ذات مرة، وطرحت عليه فيه هذا السؤال:هل تعتبر نفسك انسانا سعيدا؟ فقال: «أورثني اليتم وفقد امي في عمر مبكر حزناً مقيماً، واورثني أهلي قولونا عصبيا مزعجا كدّر علي حياتي، وليسامحني الربع والأصدقاء على عصبيتي، انه ليس انا، انه القولون، واورثني أبي وجدي ثروة أسعدتني، لكن حسي المغامر وشقاوتي وجسارتي أخذتني إلى عالم التجارة والسياسة وهما مجالان متناقضان ولا يجتمعان بنجاح في كل الأرض العربية، وقد حاولت إيجاد التوازن بينهما قدر المستطاع، وتلك مهمة مستحيلة لمن يريد الحفاظ على استقلالية شخصيته، لكن لم يبارحني اليقين التام منذ بواكير عمري أن الكلمة سلاح وشكل من أشكال النضال السلمي المفضي الى نيل الحقوق والحريات، بيد أن الوعي والعقلانية وقول كلمة الحق مصدر شقاء في منطقتنا مستشهدا ببيت شعر شهير للمعري ظل يردده دوماً: «وذو العقل يشقى في النعيم بعقله/ وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم».

جاسم مراد

خليل يوسف

ما أقسى ان نتحدث عن إنسان عزيز بصيغة الماضي، وما أصعب أن نستعرض مآثر وخصال ومواقف وتاريخ رجل لا يذكر الناس اسمه إلا مشفوعاً بالاحترام والتقدير، رجل له مكانة خاصة فى قلوب البحرينيين، وكل من عرفه من غير البحرينيين .

انه جاسم مراد الذى ودّعته البحرين مؤخراً إلى رحلته الأخيرة.

رحل فى زمن تـزداد فيه الحاجة إلى أمثاله، وطنى مخلص، ولبيرالى مستنير، حياته كانت مليئة بالثمرات والإنجازات، لم يعرف عنه سوى أنه ينطق بالحق، والرأي الحر، والموقف الوطنى الجريء، والرفض الحازم للتحزب المذهبي والطائفي.

كان قوياً بتواضعه، يشيع أنًـى حل فضائل الألفة والمودة، ويعرف ذلك من عاصره أو تابعه حين انتخب فى عام 1972 فى المجلس التأسيسي، المجلس الذى ناقش وأقرّ أول دستور للبلاد، كما فاز بجدارة فى انتخابات 1973 ليصبح عضواً في المجلس الوطنى، أول تجربة برلمانية فى البحرين، سلك طريق العمل البرلماني بشكل ارتبط بالإلتزام بالمسؤولية الوطنية.

من أقواله فى مقابلة صحفية نشرت فى 19 يوليو 2003 والتى تستحق وقفة تأمل: «نحن عبيد فى البلاد العربية لأننا لا نملك الحرية .. التيارات التى تحتضن الجهل بإسم الإسلام هى من تساعد الموساد ..الحكومات العربية تشترى أسلحة وتنفق عليها الأموال الضخمة ولا تنفق هذه الثروات على العلم الحديث، إننى احد الذين يحلمون بسعادة الوطن والشعب ولذلك ظللت ملتصقاً بالسياسة وبالقضايا الوطنية» .

أقوال تستحق فعلاً التأمل خاصة فى زمن الانكسار هذا، رحيله كان مؤلما فى نفوس الجميع، رحل فى وقت نحن بحاجة إليه وإلى أمثاله، ومن كانت له محبة الناس كجاسم مراد حقّت له الأوسمة.

نهج الضرائب وهواجس المواطنين

تمّ إقرار قانون فرض القيمة المضافة من قبل مجلس النواب البحريني السابق في دور إنعقاد غير عادي وفي جلسة إستثنائية سرية بتاريخ 7 اكتوبر 2018 وفق مرسوم بقانون رقم (48) لسنة 2018 بإصدار قانون ضريبة القيمة المضافة الذي سبق وأن صدر وفق إرادة ملكية ونشر في الجريدة الرسمية العدد: 3387 – بتاريخ 6 أكتوبر 2018 ثم تبعه مصادقة مجلس الشورى وبذلك أصبح القانون نافداً، وحُدد موعد تنفيذه الاول من يناير 2019

قيل في حينه أن تطبيق الضريبة المضافة هو أحد الالتزامات الرئيسية بموجب برنامج الدعم الخليجي بضرورة الالتزام بتطبيق الاتفاقية التي وقعت عليها دول مجلس التعاون الخليجي والمصدق عليها بالمرسوم بقانون رقم 47 لسنة 2018، إلا أنها لم تطبق إلا من قبل المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية وتبتعها البحرين أخيراً، فضلاً عن سوق مبررات رسمية أخرى كالقول بأنها تهدف إلى تعزيز وتنويع الإيرادات المالية غير النفطية والتي كانت البحرين قد بدأتها بفرض الضرائب في ديسمبر 2017 حين بدأت بتطبيق الضريبة الإنتقائية، والتي شملت التبغ ومشتقاته والمشروبات الغازية ومشروبات الطاقة، بنسب تتراوح بين 50 و100 في المئة.

وتعتبر ضريبة القيمة المضافة ضريبة غير مباشرة تفرض على معظم السلع والخدمات التي يتم شراؤها وبيعها من تاجر التجزئة للمستهلك، وتحتسب عند كل عملية تجارية او إنتاجية. ابتداءً من الانتاج الأولي ومروراً بالتصنيع والتعليب والتوزيع وحتى محلات بيع السلعة للمستهلك النهائي الذي يقع عليه تحمل عبئها.

ويصفها الكثير من المختصين والباحثين بالشأن الاجتماعي وتحقيق العدالة الاجتماعية بأنها ضريبة غير عادلة، لأنها تمثل عبئاً على محدودي الدخل، ويمكن أن نلخص سلبياتها في التالي:

تحمّلها من قبل المستهلك بشكل كامل حيث تقوم الشركات ومقدمو الخدمات وقطاع الأعمال بتحصيلها وتحويلها لخزينة الحكومة من دون الإسهام فيها أو تحمل أي من تكلفتها.

تحميلها مختلف فئات المجتمع قيماً متساوية من الضريبة بغض النظر عن مستوى الدخل، مما يجعلها غير عادلة، حيث أن العدالة الضريبية تحصل حينما تتناسب الضريبة مع مستوى الدخل، وهذا ما يخالف ما ذهبت اليه المادة (15) من دستور مملكة البحرين التي تنص على:

أ- الضرائب والتكاليف العامة أساسها العدالة الاجتماعية، وأداؤها واجب وفقاً للقانون .

ب- ينظم القانون إعفاء الدخول الصغيرة من الضرائب بما يكفل عدم المساس بالحد الأدنى اللازم للمعيشة.

حتى وإن تمّ إستثناء بعض القطاعات أوالسلع، إلا أن ضريبة القيمة المضافة ستؤثر حتماً على كل أسعار السوق بطريقة غير مباشرة لتداخل العملية الانتاجية وتشابك سلسلتها، ولأن هذه السلعة المعفاة أوتلك الخدمة ستحتاج إلى خدمات سلع وسيطة مفروض عليها الضريبة مثال (المياه المعبأة في قناني، أو العقار عند عملية البناء وغيرها).

وفي العموم يـزداد تأثير هذا النوع من الضرائب على

فلاح هاشم

الحل هو في تشريع يحمي الطبقات والشرائح الأدنى دخلاً من تبعات الضرائب

أصحاب المرتبات والدخل المحدود والمنخفض أو المتوسط بدرجة أكبر من أصحاب المداخيل العالية، لأنهم ينفقون معظم إذا لم نقل كل دخلهم في شراء متطلبات الحياة اليومية، وبذلك يستقطع من كل دخلهم قيمة الضريبة في حين يذهب معظم دخل أصحاب المداخيل المرتفعة نحو الاستثمار والإدخار، وبذالك لا يشمل هذا الجزء هذه الضريبة مما يساهم في توسيع الفارق بين شرائح المجتمع وطبقاته على العكس من ضريبة الدخل المتصاعد التي تساهم في تضييق الفجوة بين هذه الشرائح والطبقات.

من المعروف أن بعض الدول غالباً ما تلجأ للتخفيف من الآثار السلبية لهذه الضريبة عن المواطنين وبالذات محدودي وذوي الدخل المنخفض لبعض الإجراءات، ومنها:

توفير الدعم للمواطنين ذوي الدخول المنخفضة سواء عن طريق بطاقة تموينية أو علاوات تدفع مباشرة لهم.

إستثناء سلة من السلع والخدمات منها مثل المواد الغذائية الأساسية والخدمات التعليمية والصحية وغيرها.

إعفاء المواد الأولية والمواد الرأسمالية من ضريبة القيمة المضافة.

إعفاء الصادرات من كافة الضرائب بما فيها ضريبة القيمة المضافة، وذلك للحفاظ على القدرة التنافسية للمنتجين المحليين مع العالم الخارجي.

كيف تعامل المجلس النيابي الحالي مع تطبيق القيمة المضافة؟

لقد قرّر النواب في جلستهم بتاريخ 26 ديسمبر 2019 وذلك قبل أقل من أسبوع من تطبيق الضريبة رفع اقتراح برغبة بصفة استعجال إلى الحكومة بشأن تأجيل تطبيق ضريبة القيمة المضافة مدة عام واحد، مستندين على تجارب سابقة (رسوم سوق العمل) وبما تتيحه لهم الأدوات البرلمانية المنصوص عليها في الدستور واللائحة الداخلية، وكانت تلك عبارة عن رسالة نيابية وسياسية تؤكد على:

أن هناك رفضاً من جميع النواب لتطبيق هذه الضريبة التي أقرّها المجلس السابق

توحّد جميع النواب حول مطلب هو محل إجماع شعبي.

التوافق مع نتيجة الانتخابات الأخيرة والإرادة الشعبية التي جاءت رافضة للمجلس السابق حيث انه لم يتمكن إلا أقل من 10٪ من أعضائه من الوصول إلى قبة البرلمان، وذلك لتماهيه مع رغبات الحكومة في قرارات منحازة لغير صالح الشرائح الواسعة من المواطنين.

كما تمّت أيضاً الموافقة على مقترح برغبة بصفة الاستعجال بشأن إعـادة النظر في تطبيق القيمة المضافة على فواتير الكهرباء، لما ينص عليه قانون الضريبة والمرسوم رقم 1 لسنة 1996 في شأن الكهرباء وإمكانية الطعن في عدم قانونية هذه الضريبة، ورفعه للحكومة.

إلا أن الحكومة لم تستجب لهذه الارادة معتمدة على ما يتيح لها القانون من مساحة كبيرة في الإلتفاف على ارادة المجلس لأطول فترة.

لقد رافق تطبيق هذه الضريبة تذمر كبير بين فئات واسعة من المواطنين والمقيمين لما لها من تأثير عليهم وما صاحبها من تخبط وتجاوزات في التطبيق، كانت موضوعاً طغى على كل الحوارات المجتمعية عبر جميع وسائل النشر والتواصل الاجتماعي معبرة عن الإستهجان من التسرع في تطبيقها والقصور في الإجراءات الادارية من الدولة وأجهزة مراقبة وتحصيل الضريبة وما صاحب كل ذلك في احتساب القيمة المضافة على سلع تضمنتها قائمة السلع المعفاة من الضريبة، وكذلك الغموض الذي لفّ تصريح المسؤولين بخصوص عدم شمول مبيعات الشركات والمؤسسات التي تقل مبيعاتها عن 5 مليون دينار وكيفية معرفة مصدر هذه السلع لدى تاجر التجزئة والأسئلة الكثيرة التي عجزت أجهزة الدولة عن الإجابة عليها.

ورغم النوايا الحسنة لأصحاب الدعوات التي أطلقها نواب وشخصيات مجتمعية للشركات والتجار بتحمل القيمة المضافة بدلاً عن المواطنين، إلا أننا نرى أنه لن يكون لها مردود عملي، حيث أن النوايا الحسنة لا مكان لها مع ما يقرّه القانون من جهة ولتعارض هذه الدعوات مع مصالحهم من جهة أخرى، وأن الحل هو في تشريع يحمي الطبقات والشرائح الأدنى دخلاً من تبعات هذه الضرائب. فما تمّ من قبل بعض التجار من تحمل هذه الضريبة لمدة محدودة ما هو إلا من باب الدعاية الإعلامية كإجراء بعض التخفيضات في مواسم محددة.

السواحل العامة في نقاش مجلس الشورى

ناقش مجلس الشورى في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠١٩ (مشروع قانون معد في ضوء الاقتراح بقانون مقدم من مجلس النواب في فصلٍ سابق) بشأن تخصيص نسبة ٥٠% من سواحل الجزر الاستثمارية كسواحل عامة، وقد اعتبرت لجنة المرافق العامة والبيئة في تقريرها المعروض على المجلس أن مشروع القانون غير جاذب للاستثمار، وهناك صعوبة في تطبيقه على أرض الواقع، وبالأخص في الجزر الاستثمارية، في حين أنه بالإمكان تخصيص واجهات بحرية ضمن المشاريع الإسكانية التي تقوم بها الدولة، فيما أكّدت اللجنة تأييدها لمبدأ إنشاء السواحل العامة لتكون متاحة أمام جميع المواطنين والمقيمين، إلا إنها – في الوقت ذاته – تتحفظ على مشاريع الدفان المهددة للبيئة والحياة الفطرية والبحرية.

غير أن الأسئلة التي تفرض نفسها في تقرير لجنة المرافق العامة وفي رأي بعض من أعضاء الشورى خلال مناقشة مشروع القانون هل السواحل العامة على الجزر الاستثمارية غير جاذبة للاستثمار بالفعل ؟ هل هناك صعوبة في تطبيقه على أرض الواقع، وبالأخص في الجزر الاستثمارية ؟ وما مدى صحة ما أشار له رئيس لجنة المرافق العامة فؤاد الحاجي أن مشروع القانون يستهدف الجزر الصناعية وينال من خصوصية من يقوم بشراء فيلا بنصف مليون دينار ؟ ما مدى دستورية الالتزامات الاستثمارية الواقعة على الجزر الاصطناعية؟

أولاً: إن مناقشة أعضاء مجلس الشورى لتقرير لجنة المرافق العامة بشأن مشروع القانون أغفلت أن الجزر الاصطناعية الاستثمارية قد شيّدت على ثروة طبيعية هي أراضي ملك للدولة تعد من المال العام ، فإذا كان من حق الدولة أن تخصص جزءاً منها للاستثمار، فإن من حق المواطن أن يخصص له منها سواحل عامة كما فعلت الكثير من الدول، غير أن واقع الحال يشير أنه لا سواحل عامة في معظم هذه الجزر الاستثمارية بل أن الاستثمار جعل من مشروع ساحل قلالي معدوماً وقضى على فرحة أهالي قلالي والمناطق المجاورة والذي جاء تخصيصه بأمر من صاحب الجلالة الملك وحظي وبتوجيهات من صاحب السمو الملكي رئيس الوزراء قبل أكثر من 8 سنوات والذي مضى عليه وقت طويل دون أن ينفذ او أن يرى النور، منذ أن تمَّ وضع حجر الأساس في 2011، إذ تم حجب البحر عن الساحل من خلال عمليات الدفان لمشروع «دلمونيا» الاستثماري .

ما الذي جعل كلاً من شركتي ديار المحرق التي تملك نسبة 40 ٪ من المشروع وشركة إيجل هيلز الإماراتية بنسبة 60 ٪ الاستثماريتين من البدء في مشروع مراسي البحرين وإنجاز جزء كبير منه على مساحة إجمالية تبلغ 864،000 متر مربع والذي اشتمل ليس فقط على مرافق تجارية، ترفيهية، فندقية، بل شمل المشروع أيضاً مرفئاً سياحياً، مركزاً للتسوق على مساحة 190،000 متر مربع، بل شمل ممشى مطلاً على البحر، و3 كيلومتر من الشواطئ المميزة، والذي أصبح خاصا، بينما تعجز الدولة ممثلة بوزارة الأشغال وشؤون البلديات والتخطيط العمران وهيئة التخطيط والتطوير العمراني التي تخضع لرقابة واشراف الوزير من إنجاز مشروع ساحل قلالي على مساحة وبمبلغ لا تقارن بمساحة ومبلغ مشروع مراسي البحرين؟

المحامي حسن إسماعيل

ويكون من الأجدر لأعضاء مجلس الشورى بما لهم من حق السؤال مساءلة وزير الأشغال وشؤون البلديات والتخطيط العمراني حول الأسباب التي أدت إلى عدم إنجاز مشروع ساحل قلالي، كي يعلموا أن الاستثمار هو الذي يعتدي على حق المواطنين في أن تكون لهم سواحل عامة، وليست السواحل العامة هي التي تطرد المستثمرين كما أفاد أحد اعضاء المجلس في مداخلته .

ثانياً : إن مشروع القانون يتعلق بتخصيص نسبة 50٪ من سواحل الجزر الاستثمارية، ولا علاقة له بالسواحل العامة القائمة الواقعة على غير هذه الجزر، وعليه فإن ما أثـاره بعض من أعضاء المجلس خلال المناقشة رغم أهميته بضرورة إفساح المجال أمام القطاع الخاص لتحسين المرافق والخدمات في السواحل العامة، مقابل رسوم رمزية لاستخدامها، وأن المملكة بها عدد من السواحل العامة، ليس له من محل في موضوع مشروع القانون، وكان الاجدر هو مناقشة مدى الـزام المستثمرين للجزر الاصطناعية الاستثمارية بتخصيص سواحل عامة برسوم رمزية .

وفي هذا الإطار فانه لا واقعية في ظل محدودية الأراضي المخصصة للمشاريع الإسكانية، ما ورد في تقرير اللجنة انه (بالإمكان تخصيص واجهات بحرية ضمن المشاريع الإسكانية التي تقوم بها الدولة) ، بل أن الواقعي هو تخصيص مثل هذه الوجهات البحرية في الجزر الاصطناعية بل وتخصيص المشاريع الإسكانية عليها باعتبار أنها في الأساس مال عام ملك الدولة. وبهذا المعنى لن يكون هذا التخصيص طارداً للاستثمار بل جاذباً له، ولن تكون هناك صعوبة في تطبيقه على ارض الواقع حتى في تلك الجزر التي مازالت قائمة.

ثالثاً : إذا كان صحيحاً ما أشار إليه عضو مجلس الشورى علي العرادي خلال المناقشة بعدم وجود شبهة دستورية في مشروع القانون، وأن الملكية الخاصة في البحرين مصونة بموجب الدستور وأن القانون لن يطبق بأثر رجعي، أو ما أشار إليه معالي علي بن صالح الصالح رئيس المجلس بأن التعديل لا يستهدف المشاريع القائمة ولكن المشاريع القادمة ، فإن من الصحة أيضا القول بأن كل الجزر الاصطناعية قد أنشئت على أراض كانت مغمورة بالبحر تعد ثروة طبيعية هي من المال العام، وأن كل مشروعات الاستثمار الواقعة عليها فيها شبهة دستورية جاءت بالمخالفة لنص المادة 117 / أ من الدستور التي تقضي بأن (كل التزام باستثمار مورد من موارد الثروة الطبيعية أو مرفق من المرافق العامة لا يكون إلا بقانون ولزمن محدود، وتكفل الإجراءات التمهيدية تيسير أعمال البحث والكشف وتحقيق العلانية والمنافسة). والواقع أنه لا يوجد مثل هذا القانون الذي ينظم التزامات الاستثمار الواقعة على كل الجزر الاصطناعية .

وإذا كانت الملكية الخاصة في البحرين مصونة بموجب الدستور كما يقول العرادي، فإن الجزر الاصطناعية هي في الأساس اراضي بحرية بملكية عامة وأن الدستور نصَّ في المادة (9 / ب) (للأموال العامة حرمة، وحمايتها واجب على كل مواطن). و أن الدستور نصّ أيضا في المادة (11) على أن (الثروات الطبيعية جميعها ومواردها ملك الدولة، تقوم على حفظها وحسن استثمارها، بمراعاة مقتضيات أمن الدولة واقتصادها الوطني).

حسناً ما فعله مجلس الشورى حين قرّر إعادة مشروع القانون إلى لجنة المرافق العامة والبيئة للمزيد من الدراسة، غير أن المشكلة هي اوسع من تخصيص 50 ٪ من سواحل الجزر الاستثمارية المستقبلية كسواحل عامة، بل في مدى صحة وسلامة ما تمَّ من التزامات استثمارية على كل الجزر الاصطناعية القائمة من الناحية القانونية الدستورية ؟

بالطبع إن موافقة مجلس الشوري أو رفضه لمشروع القانون لن يتجاوز النطاق الذي نصَّ عليه هذا المشروع من حيث الشكل والموضوع، غير أن على مجلس الشورى بما له من حق السؤال والتشريع أن يضع في اعتباره ما أشارت له اللجنة في تقريرها من (تحفظها على مشاريع الدفان المهددة للبيئة والحياة الفطرية والبحرية)، وما نصّ عليه الدستور من أحكام سالفة البيان.

إنه الفساد، إنه الدمار الشامل

عصمت الموسوي

كتبتُ العام الماضي مقالاً استهللته بحكاية قديمة لصبي بحريني في الثالثة عشر من عمره وقد استيقظ قبل أخوته صباحا على طرق على الباب. كان الوقت يوم جمعة من أيام السبعينيات والهدوء يعمّ أرجاء البيت والكل نيام. فتح الباب فإذا الطارق جارتهم تحمل طبق «خبيصة» ساخناً وشهياً. استغل الصبي غياب اخوته فأكل ربع الطبق، ثم تذكّر أنهم جميعا نيام فأكل نصفه الثاني. تفقّد غرفهم مجدداً وتأكد من نومهم فالتهم الربع الثالث، ثم أيقن انه سوف يحاسب على فعلته وسيتعرض للتقريع والاتهام بالأنانية والسرقة التي ستبقى تلاحقه طوال عمره في حالة اكتشاف أمره فالتهم الطبق كله وخرج من البيت سريعا.

في الطريق تذكّر الصحن الخالي فعاد إلى البيت وغسله وأرجعه إلى الجارة التي رمقته بابتسامة لم يفطن إليها إلا بعد حين. إذ ليس من إعادة «التهادي» بين الجيران إرجاع الطبق خالياً في التقاليد البحرينية.

درسان مهمان في هذه الحكاية الطفولية، الأول: أن لا جريمة دون أدلة حتى وإن بدت بريئة وصغيرة ومخفية، والثاني أن أغلب الفاسدين يقولون: نحن أصحاب الحظ والحظوة والأولى بطبق «الخبيصة» دون غيرنا.

قبل فترة اطلعت على تقرير محاسبي أعدّه خبير منتدب من المحكمة للفصل بين عدد من الشركاء المدعين في إحدى مؤسسات القطاع الخاص. ذهب الشركاء إلى المحكمة «عميانيط، وليس بحوزتهم سوى عدد قليل من الأدلة ونسبة عالية من الشكوك والتوجسات حول أداء المؤسسة ومدى صدق مجلس ادارتها وادعاءاتهم المتكررة على مدى سنوات طويلة حول الخسائر وانعدام الربحية وتصاعد الديون وملامسة شفا الإفلاس، وكان السؤال البديهي الذي يطرحه أي طفل مبتدأ في درس التجارة هو: كيف لمؤسسة تخسر طوال هذه السنوات وتبقى صامدة؟

ومعلوم أن الفساد لكي ينجح ويحقق أهدافه في أي مؤسسة أو شركة خاصة أو عامة، يلزم توفير عدة عوامل أولها: تحويل المكان إلى مزرعة خاصة لا تضم إلا الأهل والمقربين وحفنة من المستفيدين للإبقاء على درجة عالية من السرية. ثانياً؛ الاعتماد على مدقق داخلي أمين على الفساد وخارجي يوقع على البيانات المالية دون نقاش أو مساءلة كي يضمن التجديد له عاما بعد عام، ثالثا؛ التخطيط المسبق لنهب المؤسسة منذ اليوم الأول لتأسيسها بالتدريج اعتماداً على غفلة أو نوم الشركاء أو خوفهم أو سكوتهم أو التواطؤ مع بعضهم عبر التهام أقسامها المربحة وتركها تعتاش على فتات ما يرد اليها من نسب وحصص عبر اتفاقات مجحفة مغفلة عن الشركاء على طريقة حكاية خبيصة الفساد السالفة الذكر.

ففي الفساد ثمة عيون نائمة أو نصف مفتوحة أو متواطئة. رابعاً؛ الدخول في أنشطة خارج نطاق أهداف المؤسسة وتمويل هذه الأنشطة بالسيولة المتوفرة واغفال تسجيل هذه المبالغ او ادراجها ضمن الديون المعدومة، إخفاء كل المعلومات المهمة عن الشركاء والاستعاضة عن ذلك بالكذب والتمويه والتضليل، الإمعان في كتابة تقارير مالية لا تتضمن أي تفاصيل، ابعاد أي فضولي أو «ملسون» أو مشكك أو متساءل عن عضوية مجالس ادراتها والتضييق عليه وعقد الاجتماعات دون علمه، وغيرها من أسباب.

والواقع إن ما سردته من أسباب يكاد يكون عاملاً مشتركاً في أغلب المؤسسات والشركات المتجذرة في الفساد، عامة كانت أو خاصة أو مشتركة بين العام والخاص، وهكذا ما أن يبدأ صفير الفساد في هذه المؤسسة او تلك، ويصبح الهمس الخافت عالي النبرة، وتتردد في الأصداء بعض تفاصيل ما يجري خلف الكواليس من تهديد بالتبليغ أو الشكوى إلى المحاكم أو لدى الأجهزة المختصة أو الصحافة، حتى يتحسس فرسان الفساد رؤوسهم محاولين انجاز آخر الصفقات المربحة والهرب أو الاختفاء، ذلك أن وسم انسان بالفساد أو الإرتشاء اعتمادا على استغلال منصبه أو نفوذه يظل يلاحقه عمره.

وإن نجا المرء منها اعتمادا على زمن الوفرة المالية والتساهل مع الفساد فقد لا يخدمه الزمن في وقت تراجع وانحسار المال وتوسل كل الطرق لإعادة ما نهب وما تسبب فيه الفساد من دمار شامل على الجميع.

فهل ثمة مخرج لتفادي الفساد ؟ نعم، توجد مخارج عديدة، وأولها سرد وكشف حكايات الفساد وأسراره والنكبات التي تحل على المجتمع من استمراره ومن التساهل معه قانونياً وقضائياً وصحافياً ومجتمعياً. إنها صرخة لحفظ مجتمعاتنا من الأذى وتطهير ساحاتها من المفسدين المعرقلين للتنمية والاستدامة المالية قبل فوات الأوان.

في العراق وسوريا

قاسم الحلال

في العراق حكومة دينية بقيادة حزب الدعوة المدعوم من إيران، تتلوّن في ردودها على الشعب الذي أصبح معارضاً بكل اطيافه لما يعانيه من صعوبات في العيش بسبب الفساد المستشري في أجهزة الدولة، حيث يزداد ثراء النخبة الفاسدة الحاكمة، ويزداد فقر الناس البسطاء، فلا يجد الحزب الحاكم سوى الاستعانة برجال الدين الذين يأتمر بأوامرهم للتغطية على فساده.

وفي الآونة الأخيرة أصيب بهيستريا المبررات، من (احتراق صناديق الانتخابات) إلى (غرق الخزينة المالية في المطر)، هذا عدا الاعتقالات والملاحقات التي يواجه بها خصومه ومنتقديه.

وكانت شوارع وساحات بغداد والبصرة ميداناً لمسيرات واعتصامات الاحتجاج من الجماهير الغاضبة، التي ترى الفساد بأم العين، حيث تعلو الحناجر بالشعار المدوي: «بسم الدين باكَونا الحرامية»، حيث يعمد هؤلاء «الحرامية» إلى تجهيل الشعب، بما فيهم الشباب، وإغراقهم في الأوهام، لكي يمرروا ألاعيبهم.

أما في سوريا، فقد دخلنا العام 2019، ولا تزال الدول المتربصة بسوريا تهدم بكل معاولها العسكرية والإعلامية والعقائدية، وتمارس جرائمها الطائفية والعنصرية تحت مبررات وخطط وأساليب ممنهجة، ضاربة كل الأعراف والقوانين بعرض الحائط تاركة ورائها كومة من الهموم والأمراض والمواجع والنكبات.

وللأسف فإن دولة مثل سوريا عاصمتها أقدم عاصمة في العالم (دمشق). تعاني ما تعانيه اليوم من مصاعب، حيث تكتظ المخيمات، داخل سوريا وخارجها، بالملايين من أبنائها الفقراء، الذين اضطرتهم الحرب الظالمة إلى الهروب من بلداتهم وقراهم وبيوتهم إلى العراء، ورغم أن تغيرات ميدانية كثيرة حدثت في مجريات الحرب، إلا أن تبعاتها المريرة ما زالت مستمرة، ولا يوجد في الأفق أمل قريب بإنتهاء هذه المعاناة.

ان الحرب قاسية ومريرة على كل شيء، فما بالنا بالبشر، لأنها تأكل الخضر واليابس، وزاد الطين بلة في الحال السورية هو تدخل الجول الخارجية صاحبة الأطماع والأجندات الطائفية والمذهبية بتلاوينها المختلفة، التي تدفع بجيوشها ومرتزقتها لتنفيذ أجندتها ونصرة طرف على آخر، ما جعل من سوريا تصبح لقمة سائغة عند المتآمرين الطامعين وذلك بإطالة أمد الحرب حيث انهم يمتلكون مفاتيح الحل والربط، أما الثمن الباهظ في هذا كله فيدفعه أبناء وبنات الشعب السوري، وتدفعه سوريا كبلد من سيادتها الوطنية على كامل أراضيها التي باتت مستباحة اليوم من دول وميليشيات مختلفة.

قراءة في: «لا أحد ينامُ في المنامة»

كيف غيّرَ «التّحضر الرأسمالي» صورة المدينة

للتمكُّن من فهم كيمياء المدينة، عن طريق قراءة العلامات النصية في بنيتها المعماريّة والثقافيّة. يقترح الكاتب والناقد الفرنسي «رولان بارت» الإلمامَ بعددٍ من العلوم وهي: "الجغرافيا، وعلم الاجتماع، والتاريخ، والهندسة المعمارية، وربما، التحليل النفسي أيضًا ".

وأستطيع أن أُضيف علي هذه القائمة أيضًا، أننا نحتاج للإلمام بعلوم أخرى مثل «علم النفس البيئي، الثقافة الشعبية، الاقتصاد، اللغات، الفنون التشكيلية، بل ربما نحتاج إلى قائمة لا تنتهي من شتّى العلوم بِمُجمل تخصّصاتها الفرعيّة».

وإذْ تَستحيل هذه المُهمّة على شخص مُفْرد، لذلك لا يمكن القيام بها دون روح المغامرة الدونكيشوتية، أي أنّه مع معرفتنا باستحالة المهمة، إلّا أننا يجب أن نخُوضها رغم ذلك.

لطالما تساءلتُ عن سبب قلّة تناول العمران بالنقد الثقافي عربيًّا، بمثل تلك الجديَّة التي يتمُّ فيها تناول النصوص الأدبية تشريحًا وتحليلًا، رغم أن العمران من أكثر الأشياء وضوحًا للعيان، إذ أن هذا العمران، وهذه المدن بصروحها، وأزقّتها، وشوارعها، لا تتولد إلا من أنساق ثقافيَّة تقْبع في اللّاوعي والتاريخ والثقافة والعلاقات الاقتصاديّة/ السياسيَّة. فكما يقول ونستون تشرتشل: "إننا نشكّل مبانينا، وهي تشكّلنا أيضًا».

وقد تكون أسباب قلة الاهتمام بالنقد الثقافي للعمران وآليات اشتغاله فينا لعوامل عدة، منها: الاعتياد، العمارة فن النخبة، صعوبة العمل، النرجسيّة الوطنية، خشية الدخول في حقل ألغام سياسي.

فالاعتياد على العيش في مدينة، قد يكيّف أذهاننا لاعتبار تخطيط المدينة كما لو أنّه جزءٌ من الظّواهر الطبيعيّة والمناخيّة، ولهذا نحتاجُ لما أستطيع أن أسميه "عين الغريب" كما في الدراسات الانثربولوجية، أي تمثُّل الدّهشة الأولى في التلقي، ومن ثم محاولة قراءتها ضمن سياقها التاريخي.

إنّ من يملك رأس المال والسلطة السياسية هو من يتحكم في عملية بناء المدن، ولذا كان العمرانُ غالبًا فنّ النخبة. وكلّما كان المجتمع ديموقراطياً كلّما كان للأفراد دورٌ في صياغة بيئتهم وفقًا لاحتياجاتهم. وأمّا ابتعادهم عن التأثير في عمليّة التخطيط، فقد يجعلهم هذا غير قادرين على النّظر للمدينة ككيان حيويٍّ متغيِّر.

قلّما يتم تناول العمران بالنقد الثقافي في البحرين، سوى في الجرائد اليومية، حيث لا نجد نقداً حقيقيّا إلّا فيما يخصُّ المطالبة ببناء مرافق جديدة، أو الكتابة السياحيّة عن جماليّات المكان، ونجده أيضًا بوفرة في الكتب المطبوعة مؤخرًا ذات الحنين النوستاليجي أو التوثيقي لبعض القرى والمناطق.

من نقد المعنى إلى نقد المبنى

ويأتي عمل د. نادر كاظم الأخير «لا أحد ينام في المنامة» كإضافة نوعيّة ومهمّة في المكتبة البحرينية والعربيّة. إذ أنّه ومنذُ انتقاله لتحليل الواقع البحريني عبر كتاب «طبائع الاستملاك» عام 2007 وصولًا إلى كتابه «كراهيات منفلتة: قراءة في مصير الكراهيّات المنفلتة» 2010.

نجدُ في مشروعه الثقافي تحليلًا للخطابات وبحثًا عن محرّكات الواقع من خلال النصوص، الدينيّة أو السياسية. بينما في هذا الكتاب الأخير «لا أحد ينامُ في المنامة»، سنجدُ انتقالًا، ليسَ تامًا، أو لم يكن هو مبتغى الكتاب. من نقد المعنى إلى نقد المبنى ـ إنْ صحَّ التعبير ـ.

أحمد رضي

فكما يقول في مقدّمة الكتاب (ص23): "هذا ليس كتابًا عن تاريخ المدينة وحسب، ولا عن سوسيولوجيا المدينة، ولا عن تاريخ أفكار سكّان المدينة وآيديولوجياتهم وأمزجتهم، ولا هو عن جغرافيّا المدينة وطوبوغرافيتها وتخطيطها، ولا عن خصوصية المدينة الكولونياليّة (الاستعماريّة) أو ما بعد الكولونياليّة، ولا عن حياة المدينة وهي تتشكّل في تفاعل معقد بين الإنسان وحاجاته والبيئة الماديّة وأشيائها ومعطياتها، ولا هو عن سوسيولوجيا الخليج وما آلت إليه المدينة الخليجية الحديثة بعد الطفرة النفطيّة، ولا عن أخلاقيّات التعايش وفن العيش مع الغرباء في المدينة المعولمة، بل هو عن كل ذلك مجتمعًا في توليفة خاصّة، وبمقاربة متعدِّدة المداخل وعصيّة على التصنيف".

ويبدو أنّ الكاتب سيجعل مهمتنا عصيّة في تقديم ورقة مختزلة تتناول كتابه، إلا أننا سنحاول، مثله، أن نذهب في هذه المغامرة. متكئين على كتابه، للذهاب في قراءة أخرى للمنامة.

فكل قارئ للكتاب لا بدّ وأن تتوالد في ذهنه أسئلة مما عرفه من خلال معايشته وقراءاته. ليقدّمها للكاتب، عن سبب التركيز على هذا الموضوع تحديدًا، أو إغفال ذاك الموضوع. وهو بهذا لن يجد تعليلًا كافيًا، سوى المتعة التي يجنيها من خلال رحلته الشائقة في قراءة هذا الكتاب الممتع. فموضوعٌ بهذا الحجم وهذه الاهتمامات المتنوعة، لن يكون إلا "عربون محبّة» لمدينة المنامة، وأيضًا كعملٍ أدبي تتنوع فيه الأفكار، وبمعالجة متعدّدة المقاربات، يزيدهُ بهاءً أسلوب الكاتّب الرشيق وسرده الممتع لسيرة المنامة وهي تتشكّل، عمرانيّا، وإنسانيّا. منذ القرن الرابع عشر الميلادي وحتى أيّامنا الحاضرة.

إلا أننا سنلجأ إلى التركيز على محور واحد، نراه يخترق الكتاب ويمسك بدفته لنناقشه، ونحاوره، كما ينبغي لأي كتابٍ جديرٍ بالقراءة، كتابٍ يضع أسسًا للنقاش المجتمعي السليم.

صناعة الهوية القائمة على الانفتاح والتعايش في المدينة الكوزموبوليتانية:

إن كلّ هويّة لا تتشكّل إلا اعتمادًا على سرديّة قصصيّة، تشمل من ضمن ما تشمل، التاريخَ وذاكرة المكان، وهي بذلك صناعة، إلّا أنها صناعةٌ ضروريَّةَ ولا يتحقّق العيش من دونها، هي صناعة تنبثق من مخاوف وطموحات الحاضر في النظر للماضي، فما هي هذه السَّرديّة التي يقترحُها علينا كتاب "لا أحد ينام في المنامة"؟.

سنجدُ أن الكتاب يقترب أحيانًا من النوستالجية في استذكاره للمنامة قبل النفط، حيث المدينة / الميناء المرتكز اقتصادها على تجارة اللؤلؤ، والتي جعلت أناس هذا المكان منفتحين، "وبعيدين عن الجدل الديني» كما ينقل الكاتب في وصف رجال المنامة عن أحد الرّحالة الغربيّين ، مدينةٌ تضمُّ بشرًا متنوعين في مذاهبهم وأعراقهم وانتماءاتهم. وهذا ما يجعلها، بالإضافة للامتداد الجغرافي، مدينة ـ حسب تعبير الكاتب ـ كما ينقل الكاتب عن أرسطو بأن المدينة "تتشكل

يتبع

يتبع

من اناس يختلفون في مشاربهم، ولا يستطيعُ بشرٌ متماثلون تكوين مدينة». علمًا بأن التنوع الذي نرى أن أرسطو كان يقصده، هو التنوع في طبقات الشعب نظرًا لمهنتهم وموقعهم الطبقي «من فلاحين، ومحاربين، وصنّاع، وتجّار. إلخ إلخ" ولم يكن يعني التنوع الاثني والمذهبي. وهو ما يصدق عمومًا على المنامة أواخر القرن التاسع عشر.

يعود بنا د.نادر كاظم في هذا الكتاب إلى ماض يرى فيهِ أنّ السِّمة الغالبة هي التعايش والتَّسامح، وذلك نظرًا لوجود التجارة، ووجود إثنيّات متنوعة. ورغم أنه لا يغفل عن بعض حوادث الشقاق، إلا أنه يجعلها محدودة، زمنيًا، أو بأعداد المشاركين فيها، أي أنها حوادث مضخّمة في مجتمع صغير، حوادث لا تعكّر صفو تعايشه وتسامحه.

واستمرّ هذا الانفتاح إلى أن تمّ اكتشاف النفط، الذي جعله انفتاحًا في جانبه الاستهلاكي في الغالب للسلع المتنوعة والمستوردة من مختلف دول العالم. إلّا أنه انفتاحٌ أصبح يضيق على الجاليات الأجنبيّة مع تنامي المدِّ القومي. وحسب وجهة نظر الكاتب فإن الخمسينات من القرن المنصرم، هي المرحلة التي بدأت فيها مدينة المنامة تنقطع عن إرثها الكوزموبوليتاني مع صعود "هيئة الاتحاد الوطني" كقوّة سياسيّة، والتي بلغَ تأثيرها حدِّ الممارسة العنصريّة تجاه الأجانب، وأن تتحوّل إلى بيئة طاردة لهم، كما حدث مع هجرة بعض العوائل اليهوديّة نتيجة أعمال الشغب. وهي بذلك تشبه مدينة الاسكندرية التي انقطعت عن إرثها الكوزموبوليتاني مع صعود عبد الناصر للسلطة، مما أدى إلى هجرة كثير من الإثنيات فيها، تزامنًا مع عمليّات التأميم والمُصادرة. إلا أن السؤال الذي يحقُّ لنا أن نسأله، هو أنّ المنامة لم تكن فيها مثل تلك الإجراءات، فهل تكفي بضعة حوادث شغب لتقنع جاليّة بالهجرة؟. فالمنامة وإن كانت تشبه الاسكندريّة كمدينة بحريّة تعتمد على الميناء، ومدينة كوزموبوليتانية كذلك، إلى حد أن عنوان كتابهِ جاء بالتناص مع رواية " لا أحد ينام في الاسكندرية «للروائي إبراهيم عبدالمجيد. إلا أنها تختلف عنها في سبب خلخلتها سكانيًا.

فسبب ضمور المنامة القديمة هو النظام الاقتصادي الرأسمالي، وليس الاشتراكي كما في الاسكندريّة. هذا النظام الاقتصادي، هو الذي حوّلها بادئ الأمر من قريةٍ صغيرة إلى مدينة التجّار بفضل الميناء وتجارة اللؤلؤ والتحديثات الإدارية. وهذا النظام الاقتصادي هو خلخلها سكّانيًا، وهو الذي يحوّلها الآن إلى سلعة معلّبة للسياحة. أي أنّ سبب كسادها أو خلخلتها سكانيًا، هو الذي كان سبب ازدهارها أوّل مرة. أمّا تأثيرات "الهيئة، هيئة الاتحاد الوطني» فلم يتعدّ سوى ترحيل فئة صغيرة من الجالية اليهوديّة. ولكنّها لم تكن بأي شكلٍ من الأشكال، السببَ في ضمور مدينة المنامة الكوزموبوليتانية.

فهل كانت المنامة قبل الهيئة مدينة التسامح والتعايش في ظلّ الإدارة الاستعمارية؟ ـ كما يقترح الكتاب ـ وكيف يمكننا أن نفهم معنى "الكوزموبوليتانيّة" في هذا السياق؟ وهل أصبحت المنامة بعد الهيئة مدينة قوميّة وتخلّت عن إرثها التعدّدي؟.

الكوزموبوليتانيّة، وهي كلمة مكونة من شقيّن، "كوزموس" وتعني الكون باليونانيّة، و"بوليتيك" وتعني السياسة بالإنجليزية، وقد استعملها كارل ماركس وإنجلز أوّل مرةٍ وكانا يقصدان بها الشركات العابرة للقومية أو المتعدّدة الجنسية، بينما كثيرًا ما تُستعمل حاليًا لوصف مجتمع متعدد الأعراق والإثنيات والمذاهب أو المجتمع المعولم، بل وربما تطلق على أفراد ويشار بذلك لكونهم متعدّدي الثقافة والاهتمامات، فبأي المعاني كانت منامة ما قبل الهيئة الوطنية في الخمسينات؟

لا يمكن أن نفهم معنى "التعايش" و "التسامح" دون أن نفهم سياق المدينة الكولونياليّة، حيث كانت توجد آنذاك فئتان، وهما "الأجانب" التابعين قضائيًا للسلطة البريطانيّة، والفئة الثانية هي "الأهالي" سنة وشيعة والذين كانوا رعايا حاكم البحرين.

ولم تكن تلك الجماعات تنظر لنفسها إلا من خلال جماعتها الإثنية والمذهبيّة، ولم تكن السلطة تنظر لتلك الجماعات إلا من خلال انتمائها الهوياتي أيضًا. فالعرائض تقدّم باسم الجماعة المذهبيّة، الأحياء مقسمة طبقيًا ومذهبيًا، والتسامح الديني لم يكن قبولاً بالآخر، أو كما نفهمه حاليًا، بقدرما كان سلوك مداراة اجتماعيّة تفرضها طبيعة السوق وعلاقات القوة، وأيضًا لعلّها نزعة أصولية محافظة ولكن من غير أدلجة، أي لا تكترث بالآخر ومصيره الأخروي أو الدنيويّ طالما كان بعيدًا عن مجالها الخاص. تورد شريفة الأمريكانية مثلاً بأن بعض من بدّل دينه للمسيحية، وهم قلّة، كانوا يتسترون خوفاً من القتل. إلا أن الأجانب كان يتم التغاضي عن ديانتهم شريطة أن لا يثيروا هذا الموضوع أو يعلنوا مجاهرة عدم انتمائهم للدين الاسلامي. كما أن طاقم الارسالية كان يشعر بصعوبة مهمّة التبشير التي تكاد تقترب من الصفر في شهرين اثنين وهما: شهر محرّم وشهر رمضان. (مذكرات شريفة الأمريكانية ص 109)

فهي لم تكن مدينة التسامح بقدر ما كانت مدينة التغاضي، والالتقاء بالآخر لم يكن إلا في شكل استهلاكيٍّ وتجاريٍّ في غالبه، ولم يؤدِّ إلى نشو ء

سبب ضمور المنامة القديمة هو النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي حوّلها من قرية صغيرة إلى مدينة للتجار

كان يتم التغاضي عن ديانة الأجانب شريطة عدم مجاهرتهم بعدم انتمائهم للإسلام

لا يمكن أن نفهم معنى "التعايش" و "التسامح" دون أن نفهم سياق المدينة الكولونياليّة

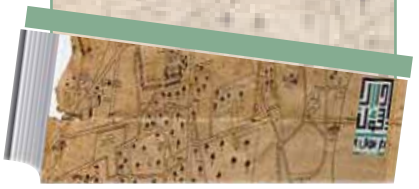

ثقافة مشتركة بين الفئات المختلفة، وخصوصًا بين الأجانب والأهالي. سوى عند بعض كبار التجّار.

فالمنامة أوائل القرن كانت بوتقةً لصهر الاختلافات، لكنها لم تسفر عن لقاء بالآخر أو بناء هويّة وطنيّة إلا مع ظهور النفط الذي أدّى لنشوء طبقة برجوازية من الأهالي السنّة والشيعة، وهذه الطبقة هي التي حملت لواء الوطنيّة التي تعني: أننا لسنا متجاورين في المكان ولا يؤذي أحدنا الآخر فقط، وإنما لنا أيضًا آمالٌ وتطلّعاتٌ مشتركة. إلا أن هذه الحركة اقتصرت على الأهالي "سنّة وشيعة" وذلك بعد مناوشات ونزاعات بينهم قبل ذلك، فيما عُرف بفتنة محرم. ولكن كيف نشأ هذا اللقاء؟ وما أسبابه التي لها علاقة بتطوّر الحالة المدينية في مدينة المنامة؟

كان ممكنا في مدينة المنامة أن ينشأ ما يسمّى بـ «الجيوب الثقافيّة"، أي تلك المناطق المحايدة التي تسمح لساكني «الغيتوات» المعزولين ضمن فضاء جماعتهم بالالتقاء والتّفاعل اليومي مع الآخر في المدارس والمستشفيات والأسواق والأزقّة المتداخلة بينّ حيٍّ وآخر. وهو الأمر النادر الحدوث في القرى آنذاك، إلا أن هذه الجيوب الثقافيّة لم تسمح بنشوء ثقافة وطنيّة جامعة، وذلك بسبب اختلاف المصالح ـ وإن أدت للتقارب في بعض الأشياء، كاللهجة مثلاً حسب ما يذكر في الكتاب، إلا أنها لم تؤدِ إلى تكوين هويّة وطنيّة جامعة. فلم يحدث أن تمّ التحدُّث بصيغة المواطنة إلا بعد نشوء الوعي القومي مع أفول تجارة اللؤلؤ وصولًا إلى حركة الهيئة في الخمسينات. وأما سبب اقترابها أحيانًا من العنصريّة تجاه الأجانب، فلا يمكن أن نفصل هذا عن السياق التاريخي/ الاقتصادي لمدينة المنامة، حيث طبيعة المصالح المتناقضة التي تميل لصالح الأجانب وبعض الفئات التي تدعمها المدينة الكولونياليّة. فهذه الحديّة التي ظهرت في الخمسينات، لم تنبثق فجأة لأسباب خارجيّة فقط، كالتأثر بالمدّ القومي الناصري، وإنما كان لها أسبابها الاقتصاديّة/ السياسيّة داخليًا، والتي لم يُشر الكتابُ إليها كما ينبغي. أي أنَّ تلك الحديّة، والتي لا نبررها قطعًا بوعينا الحالي، وإنما نحاول أن نفهمها فقط. جاءتْ كرد فعل على ما يمكن أن نسميه "العنف الرمزي" الموجّه ضد الأهالي في فترة الكوزموبوليتانيّة، بدءًا من التمييز في الأعمال والرواتب، وفي القضاء، وكذلك في تغريب المدينة عبر تسمية الشوراع بأسماء أجنبيّة، وفي المراسلات الرسميّة والتجاريّة التي تكتب باللغة الانجليزيّة، أو تكوين جهاز شرطة من جنسيات غير محليّة. كان هذا العنف الرمزي هو ما كان يحفظ تماسك المدينة الكوزموبوليتانيّة، وليس في الأمر، كما نفهم بالمعنى الحديث، إيمانًا متجذرًا بقيم التعايش والتسامح. والذي لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل عدالة تساوي بين جميع الأطراف. وبما أن حركة الهيئة لم تستطع تحقيق انجاز ما كانت تنشده، سنجد أنّ مدينة المنامة بدأت بالتخلخل سكانيًا لأسباب اقتصاديّة بالدرجة الأولى، وليست بسبب المدّ القومي.

فالعلاقة بين المدّ القومي وأفول المدينة الكوزموبوليتانية المتسامحة، لم يكن واضحًا في الكتاب، سوى فيما يخصُ الجالية اليهوديّة. وهو أمرٌ يثير أيضًا بضعة أسئلة، فهل تكفي بضعة أعمال شغب لتجعل جالية متجذرة ترحل عن موطنها؟. سنجد أن العوائل اليهوديّة الأكثر تجذرًا واصلت الإقامة في البحرين، وبعضها رحل بعد تاريخ التقسيم بسنوات طويلة. فالأرجح أن بعضها هاجرت لتبحث عن فرص أفضل في تل أبيب، بينما العوائل الغنيّة واصلتْ البقاء (مذكرات شريفة الأمريكانية ص181).

لم تتخلخل المدينة سكانيًا، واجتماعيًا، إلا بسبب "عمليات الحضرنة الرأسماليّة"، فكيف يحدث ذلك؟.

ففي المدينة التي تعتمد على الميناء، تتركز النخبة التجارية في مركز المدينة القريب من الميناء، ولكن ما يحدث لاحقًا عند ازدهارها هو أن تنزح لهوامشها الفئات الفقيرة القادمة من الريف، وكلما زاد ثراء النخبة وازدهرتْ اعمالها، زاد عدد النازحين، إلى أن يتكدّس مركز المدينة، فتلجأ النخبة حينها للنزوح نحو الضواحي بعيدًا عن المركز المكتظ من أجل بيئة أفضل. ويزداد هذا الابتعاد كلّما تطوّرت وسائل المواصلات. ومع الطفرة النفطية التي أدت إلى طفرة عمرانية، لم يعد النزوح من داخل المدينة لخارجها مقتصرًا على التجّار وإنما تبعتهم أيضًا الطبقة المتوسطة بفضل مشاريع الدولة الإسكانيّة، كما أن النزوح من الريف في داخل البحرين إلى مدينة المنامة قد توقّف بفعل التنمية وحلَّ بدلاً من الريفيين، تلك العمالة الوافدة القادمة من آسيا. ويمكن مقارنة المنامة بما حدث في مدينة الكويت القديمة، سوى أن المنامة لا زالت فيها بعض الأحياء وإن كانت تشكّل أقليّة.

فما زالت المنامة القديمة، كوزموبوليتانية، إذا كنّا نعني التنوع العرقي والإثني، سوى أن النخبة التجارية قد غادرتها. وتختلف المنامة عن نظيراتها من المدن الكوزموبوليتانية العربية كالاسكندرية وبيروت، في تغريبها عن محيطها العربي وذلك بسبب طبيعة الاقتصاد الرأسمالي الريعي، فيما حافظت المدن العربية الكوزموبوليتانية على طابعها العربي مغذيّة نفسها سكانيًّا من الداخل، فيما يُعرف بظاهر "نزوح الريف نحو المدينة".

وسوف نجد أن ظاهرة المجتمع المتعدّد، لم تنته في البحرين، مع ظهور النفط. بل إنها زادت وتوسعت لتشمل أغلب مناطق البحرين، بدءًا من مدينة عوالي في ثلاثينيات القرن المنصرم، وليس انتهاءً بالمشاريع العمرانيّة الاستثماريّة في العقد الاخير بعدما فُتحت أمام تملّك الأجانب. ولكن ما يميز بعض هذه المشاريع حاليًا، وما يجعلها مختلفة عن المنامة القديمة، أنها تأتي ضمن سياق أشدّ شراسة مع العولمة. حيث يتم توفير بيئة مصطنعة عمرانيًا، وذات أسوار وإدارة خاصّة، ومعزولة عن بقيّة فئات المجتمع. كما أن تطوّر وسائل المواصلات جعلها في منأى من عمليات النزوح للعمالة الفقيرة كما في مدينة المنامة التقليديّة، «حيث كانت عدد بيوت العريش في المنامة حتى منتصف الاربعينات يفوق عدد البيوت الطينية» (لا أحد ينام في المنامة ص126). وهذا ما يجعل الفواصل بين الطبقات أكثر تفاقمًا والتفاعل بينهم أكثر برجماتيّةً وأقل اجتماعيًّا.

سيرة المنامة/ سيرة البحرين.

إن وجود المدينة وازدهارها، يؤدي لوجود إمكانيّة للعمل السياسي عبر تضامن الفئات المختلفة في بيئة حضريّة يمكن فيها تحقيق التواصل المكثّف، بحيث تعي الفئات المختلفة مصالحها، ودورها، وإمكانيّة قيامها بعمليات ضغط سياسي ضمن نطاق المدينة. مع ملاحظة أن أساس تشكل المدن عبر التاريخ لا يأتي إلا عبر مركزيّة استبدادية، تستطيعُ أن تمنحَ فيها هويّة وطنيّة للجماعاتِ المعزولة وقليلة التواصل فيما بينها. لكنّ تلك المركزيّة لا بدّ وأن تصل في قمة أوجها لمنح الناس المزيد من المشاركة وإلا سبّب ذلك توالي الأزمات فيها، فالديمقراطية إن حلّت في بلدٍ مفكك عرقياً أو طائفياً لن تنتج سوى الفوضى. والدولة المركزية إن لم تنتقل تدريجيًّا لتمنح المزيد من المشاركة الشعبيّة أدى ذلك لتفككها. ولا أزعم أن العمران هو علة العلل ومكمن الزلل، بل هو في المحصلة النهائيّة مجرَّد تَمثيل عملي لمصالح فئوية، وتمثيل رمزي لما يعتمِل في اللاوعي الجمعي. فنشوء العمل السياسي الذي بلغ ذروته في الخمسينات، كانت قد سبقته قيام دولة مركزيّة. وقد لاحظَ د. نادر كاظم بذكاء في كتابه «طبائع الاستملاك»، أنّ نشوء الأسوار حول المباني بدأ في فترة بلجريف مع نشوء الدولة المركزية، وأن "أول ما تتطلبه الدولة كجهاز انضباطي هو تسكين الأفراد في أماكنهم ووقف تحركاتهم أو على الأقل تحديد هذه التحركات ووضعها تحت المراقبة» وقد كان المجتمع البحريني التقليدي قبل ذلك "تجري معظم أنشطته في أماكن مفتوحة وبطريقه غير ثابتة وغير منتظمة "..»ولهذا كانت المقابر والمدارس والمستشفيات بلا أسوار، وهكذا كانت أنشطة الناس متحرِّرة من قانون "العزل والإقفال" طبائع الاستملاك ص117.

إن أهمية سيرة المنامة وتحوُّلاتها تكْمنُ في تقديمها نموذجًا لما يمكن أن تُصبح عليه البحرين لاحقًا، أي في مستقبلها. بعد أن أصبحتْ البحرين بمجملها، بسبب مساحتها الصغيرة وبفضل تطور وسائل الاتصال والمواصلات، إلى مدينة واحدة، أو بما يمكن أن يطلق عليها "الدولة المدينة" المشدودة ضواحيها لمركزها. أي أن نموذج المنامة انتشر في أرجائها كافة ليشمل حتى القرى البعيدة. ويبدو أنّ أزقة المنامة وأحيائها وأسواقها التي كانت تمثل مختبرًا للتعايش، أصبحتْ الآن على نطاق البحرين بلداتٍ وقرى متنوعة بينها جيوبٌ ثقافيّة.

فهل يتكرّر التاريخ؟ أم أننا سنظلُّ في هذا المختبر دائمًا وأبدًا؟ فحين أقولُ مختبرًا فإنني أعني بأنه لم توجد صيغة تامةٌ وناجزة للتعايش والتسامح قابعةٌ في زمنٍ ما من التاريخ. وإنما كان لهذا التعايش مشاكله، ومنغصاته، والتي علينا أن نتجازوها بقدر أكبر من البحث والتحليل، وهي مهمّة ما زالتْ في بداياتها، وتتطلّب رعاية يوميّة ونقاشًا مجتمعيًا مستفيضًا مبينًا على قراءةٍ واعية للتاريخ، ومتجهًا للمستقبل.

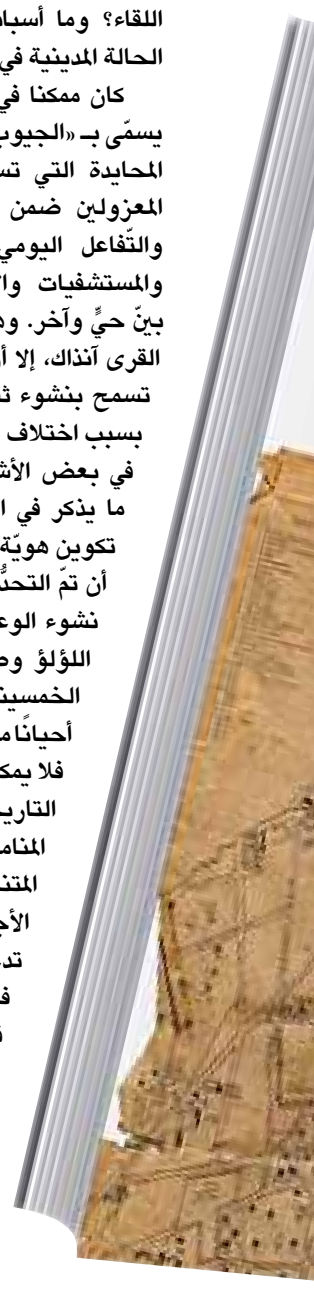

قرن على استشهاد « نسر الثورة» روزا لوكسمبورغ

أهدي هذه الدراسة السياسية إلى المناضلة الفذة الرفيقة إيمان شويطر التي كان صوتها في حملتها الانتخابية البرلمانية الأخيرة جريئاً هادراً في تمثيل الصوت الوطني الطبقي بكل قوة وثبات في إدانة الفساد ونصرة الطبقة العاملة وعامة الكادحين، والمحرومين والفقراء كافةً، والدفاع عن العاطلين، وعن الحريات العامة وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية، ولم ترَ – كما يحدث في كثير من البلدان العربية ومنها بلادنا – عدم فوزها هزيمة شخصية لها لتنكفأ على ذاتها أو لتنعزل عن تنظيمها السياسي، أو لتصب عليه جام غضبها وسخطها، بل خرجت مرفوعة الرأس مكللة بأكاليل الكبرياء والشهامة والفخر غير متفاجئة بالنتيجة التي لم تفت في عضد صمودها رغم كل ما مرت به من محن شخصية منذ استشهاد رفيق حياتها ودربها المشترك المناضل البطل الدكتور هاشم العلوي قبل ثلاثة عقود ونيف، بل كانت تعلم مقدماً بأن تلك النتيجة غير مستبعدة البتة في ظل ظروف سياسية غير مواتية بالغة التعقيد، بل وتعلم لماذا يُراد لها أن تُهزم، ولم تعتبر عدم فوزها خسارة شخصية لها بقدر ماهي خسارة جولة في معركة على عدة ميادين وجبهات تناضل فيها من أجل الناس البسطاء.

رضي السمّاك

أحيت الأوساط اليسارية والتقدمية العالمية في منتصف يناير الفائت مرور قرن على استشهاد المناضلة التقدمية الأممية الألمانية العالمية روزا لوكسمبورغ ورفيقها المناضل الأممي العالمي كارل ليبكنخت مؤسسي الحزب الشيوعي الألماني، وفي شهر مارس الجاري وتحديداً الخامس منه تمر أيضاً الذكرى المائة والثمانية والأربعين لميلادها.

ففي مساء ذلك اليوم المشؤوم من 15 يناير عام 1919 قام فوج من سلاح الفرسان اليميني الألماني وبالتواطؤ مع حكومة فريدريش ابرت وعلى إثر وشاية خبيثة بمداهمة المنزل الذي كانا يختبآن فيه من حملات القمع بحي فيلمر سلدوف في برلين وجرى تعذيبهما تعذيباً وحشياً وقتلهما بدم بارد بعد سويعات من اعتقالهما ، وفي الوقت الذي تم تسليم جثة رفيقها ليبكنخت إلى عائلته وحيث نُظمت له لاحقاً جنازة مهيبة شارك في تشييعها مئات الالوف من أنصاره وأنصار حزبه وجماهير غفيرة فقد قذف القتلة الفاشست بجثتها في نهر عُرف بـ "قناة الجيش" وحيث ظلت جثتها مجهولة المكان على امتداد ما يقرب من خمسة شهور حتى الأول من يونيو من نفس العام، وكم كان مؤلماً أن من اكتشف الجثة على مقربة من جسر القناة رفيقة دربها وسكرتيرتها ماتلدا ياكوب، ولولا الفستان الذي كانت ترتديه والميدالية التي كانت ملازمة لها لما أمكنها التعرف على جثتها.

وكان آخر ما سطّرته هذه المناضلة القيادية المقدامة قبل ليلة من اعتقالها: "لقد فشلت القيادة، ولكن القيادة يمكن ويجب تشكيلها مجدداً من قِبل الجماهير ومن أوساطهم. الجماهير هي العامل الحاسم، فهي الصخرة التي يُبنى عليها النصر النهائي للثورة، إن النظام يسود في برلين! أيها التوابع المملون إن نظامكم مبني على الرمال. ان الثورة ستصل غداً ذروتها بسرعة، ولرعبكم ستعزف الأبواق".

وقد نُشرت مقالتها ومقالة رفيقها كارل ليبكنخت في اليوم التالي في جريدة الحزب الشيوعي الألماني "الراية الحمراء"، وهي نفس الصحيفة التي سبق أن نشرت فيها أيضاً برنامج الحزب الذي دوّنت مسودته الأساسية بقلمها تحت عنوان "ماذا تريد عصبة سبارتاكوس؟" وأقرته العصبة بكامله باستثناء تعديلات طفيفة. وكانت لوكسمبورغ ترى إنه لا يمكن فصل النضال البرلماني عن النضال في أوساط الجماهير في الشارع، وكان موقفها ورفيقها ليبكنخت مع المشاركة في الانتخابات البرلمانية الوشيكة التي كان يُفترض اجراءها بعد أيام قلائل من استشهادها من أجل توظيفها ضد هشاشة وضعف المؤسسة البرلمانية نفسها بالرغم من أن الأكثرية في مؤتمر الحزب كانت ضد المشاركة في تلك الانتخابات.

وعلى مدى قرن ونصف ونيف منذ انبثاق الفكر الاشتراكي العلمي الحديث على يد مُنظّره الأول كارل ماركس ورفيقه فريدريك أنجلز في أواسط القرن التاسع عشر فإن الأحزاب والحركات العالمية المناضلة التي تبنت هذا الفكر حتى عصرنا الراهن لم تستطع أن تبرز بين صفوفها مناضلة قيادية ومنظّرة فذة تبز فيه رفاقها الرجال كما برزت روزا لوكسمبورغ التي عُرفت بـ "الوردة الحمراء" فيما أطلق عليها قائد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى لينين "نسر الثورة"، وحتى حزبه الحاكم بكل جبروته عجز أن يبرز بين صفوفه مناضلة قيادية من طرازها، إذ كانت بكل ما في الكلمة من معنى نسيج وحدها في التفرد النضالي على الصعيدين النظري الفكري والجماهيري، وقدمت إسهامات نظرية جليلة في منتهى الأهمية في اثراء الفكر الاشتراكي الماركسي، العالمي ولاسيما على الصعيد النظري الاقتصادي.

بيد أن هذه الإسهامات جرى تهميشها والتعتيم عليها، فليس خافياً اختلافها مع البلاشفة الروس حول تسمية الحزب في ألمانيا بـ "الحزب الاشتراكي" وليس "الحزب الشيوعي". وعلى الرغم من أنها تضامنت مع ثورة اكتوبر الاشتراكية إلا أنها لم تتردد عن نقد المركزية المتشددة في الحزب اللينيني، مع أنها كانت شديدة الإعجاب والتقدير للينين، لكنها عارضت مركزيته المفرطة

وطالبت بمراجعة كاملة لمفهوم "التنظيم" وانتقدت سعي لينين إلى مكافحة الانتهازية من خلال المركزية التنظيمية المشددة لما في ذلك من مخاطر في تقييد المبادرات العفوية والتفكير الديمقراطي الحر. كما كانت ترى أنه بدون انتخابات عامة، وصحافة حرة، وحرية تجمع، وصراع حر للأفكار، تصبح الحياة في أي مؤسسة زائفة بل ميتة. وكانت ترى أن من أبرز أخطاء اللينينية والتروتسكية اعتبارهما الدكتاتورية والديمقراطية متعارضتين وهو نفس الموقف الذي كان يتبناه كاوتسكي المغرم بالديمقراطية البرجوازية فيما لينين وتروتسكي يفضلان عليها دكتاتورية البروليتاريا وكانت تحذر من تحوّل دكتاتورية الطبقة إلى دكتاتورية قيادة الحزب الذي يدعي تمثيلها.

وقد أثبتت الأحـداث والمـآل المأساوي الـذي آل إليه الحزب الشيوعي السوفييتي الحاكم في الاتحاد السوفييتي صحة رؤيتها وما كانت تحذر منه، فقد رحلت على حد تعبير الباحث العراقي رضا طاهر دون أن ترى كيف تحولت الثورة الروسية إلى مجتمع استبدادي ناهيكم عن انهياره ولم تعش لترى الثورات المضادة للإمبريالية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، وماتت عن عمر لم يتجاوز الثمانية والاربعين قبل نشر طائفة من كتابات ماركس التي مكنت أجيالاً لاحقة من الفهم الأعمق لأفق وبصيرة تفكيره.

وكانت روزا لوكسمبورغ قد برز نضالها بوجه خاص منذ أواخر عشرينيات عمرها، أي بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائـل القرن العشرين كقائدة من قـادة الجناح اليساري في الأُممية الثانية، وهي من زعماء ومؤسسي الحركة الاشتراكية في بولندا البلد الذي وُلدت فيه إبان خضوعه للاحتلال القيصري الروسي، كما كانت من أبرز الناشطين في الحركة الاشتراكية الألمانية ووقفت موقفاً جريئاً مناوئاً للحرب الامبريالية العالمية الأولى، وهي من أبرز المبادرين إلى تأسيس فرقة الأُممية التي عُرفت لاحقاً بـ "اتحاد سبارتاك" هذا علاوةً على دورها القيادي في تأسيس الحزب الشيوعي الألماني .

وخاضت سجالات عنيفة بكل ندية داخـل الحركة العمالية البولندية حول مسألة إعادة بناء استقلال بولندا، وكانت خصماً عنيداً للحزب الاشتراكي البولندي، وعُرفت بانتقاداتها الحادة ضد الاتجاهات الإصلاحية التوفيقية والتحريفية داخل صفوف الحركة الألمانية والعالمية، كما وقفت ضد الاتجاه الوسطي في الاشتراكية الديمقراطية الذي كان كاوتسكي أبرز ممثليه آنـذاك. ومن خلال هذه السيرة الوضاءة لهذه الشخصية النسائية وفي مجتمع ذكوري الذي لم يبرأ من ترسباته ونزعاته التاريخية حتى قادة اليسار العالمي ليس غريباً أن يُعامل أرثها التنظيري والنضالي بالتهميش إن لم يكن حتى التشكيك والتشويه على مدى ما يقرب من نصف قرن منذ استشهادها وبخاصة خلال الحقبة الستالينية.

وفقط بعد موت ستالين بدأ رد الاعتبار إليها تدريجياً وعلى استحياء وفي نطاق محدود ازداد نوعاً ما إبان مرحلة البيرسترويكا عشية انهيار الاتحاد السوفييتي وفي أعقاب سقوطه، ولم تكن الأحزاب الشيوعية العالمية، بمن فيها العربية، والمتأثرة جميعها بالمركزية السوفييتية في التنظير الماركسي بريئة من ذلك التهميش الإقصائي لتلك المناضلة العالمية الفذة، ما خلا أحـزاب الأوروشيوعية واليابان حيث وظفت إسهاماتها التنظيرية في إطار نقد النموذج الاشتراكي المطبق في الاتحاد السوفييتي، فضلاً عن تأثر انتفاضات الحركات الطلابية التي انطلقت في فرنسا عام 1968 وامتدت إلى العديد من البلدان الاخرى بأفكارها التي نُعت متبنوها بـ "اللوكسمبورغية" أو اللوكسمبورغيين، أي على شاكلة التروتسكية والماوية إلخ.

ولعل الباحث الماركسي العراقي الدكتور صالح ياسر والذي نال شهادة الدكتوراه في العلاقات الاقتصادية الدولية من بولندا، مسقط رأس مناضلتنا العظيمة، هو من أبرز الباحثين العرب الذين كرّسوا جزءاً من جهودهم البحثية لتسليط الضوء على إرثها النظري وبخاصة الشق التنظيري الإقتصادي منه، وأهم إسهاماته في هذا المجال كتابه القيّم الهام الموسوم "روزا لو كسمبورغ وإشكاليات التحليل الاقتصادي للرأسمالية ". وتناول فيه على وجه الخصوص بالعرض والتحليل كتابها البالغ الأهمية "تراكم رأس المال".

على أنه ورغم عمرها القصير نسبياً الذي قيّض لها أن تعيشه (48 عاماً) وهو سن يقارب من عمر لينين الذي مات عن عمر يناهز الـ 53 عاماً، فإني أحسبُ أنه مازال الكثير من تراثها الفكري مُغيباً ولم يُكشف النقاب سوى عن النزر اليسير منه، وبالتالي فما أحوّج الحركات والأحزاب اليسارية العربية في إطار مراجعاتها الفكرية والتصحيحية ومنها رد الاعتبار إليها إلى إعداد المزيد من الدراسات التي تسلط الضوء على إرثها النظري والنضالي لاستلهام المفيد منه على واقع مجتمعاتنا وفق شروطها الملموسة والسريعة التغيير وفي ضوء تغوّل وتوحش الرأسمالية العالمية الراهنة.

المصادر:-

د. صالح ياسر، روزا لوكسمبورغ وإشكاليات التحليل الاقتصادي للرأسمالية، دار الرواد المزدهرة، بغداد، 2009

بدايات. فصلية ثقافية، العدد 18- 19 / 2017، 2018، بيروت .

الثقافة الجديدة، 335، كانون الثاني 2010.

طريق الشعب، العدد 103، 15 كانون الثاني / يناير 2019 .

تأثير الديمقراطية (١ - ٢)

تقول صاحبة هذا المقال المُنظرة السياسية البلجيكية شانتال موف Chantal Mouffe، إن غياب المواجهة التنافُسية في الديمقراطيات الليبرالية بين المشَاريع السياسية المُختلفة أفضى إلى أزمة التمثيل السياسي. قد يكون وصف 'أعداء' الإجماع بين الحزبين، بالشياطين أمرٌ أخلاقي مُطمأن، ولكنهُ أمرٌ مُحبِط سياسياً. نحنُ بحاجة إلى شعبوية تقدُمية قادرة على تعبئة الوجدان المُشترَك من أجل الدفاع عن المساواة والعدالة الاجتماعية.

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Chantal Mouffe

أصبحت الأحاسيس والوجدان مؤخراً قضية رائجة بين الفلاسفة والأشخاص العاملين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهُناك أدبيات مُتنامية حول ما أُطلق عليه "المُنعطف الوجداني". وهو يُحدد مجموعة من الأعمال غير المُتجانسة ليس من السهل العثور فيها على 'التشابُه الأُسري'، لأن المُنظرين الذي يتمُ وضعهم تحت هذهِ المظلة في بعض الأحيان يأتون من مجموعات مُتنوعة من المناهج التي يصعب التوفيق بينها. وهم يختلفون حول المُصطلحين 'الوجدان' و 'العواطف'، ناهيك عن العلاقة بينهما. البعض منهم مُتأثرٌ بالفيلسوف الفرنسي غيليه ديلوز Gilles Deleuze و زميله المُحلل النفساني والناشط السياسي الفرنسي فيليكس غوتاري Félix Guattari، وآخرون منهم مُتأثرين بالعلوم العصبية neurosciences، وآخرين مُتأثر بمدارس بنائية مُختلفة. لقد ركّزت لفترة طويلة في عملي بشكل خاص على دور "الحماس" في السياسة، وأُودُ هُنا أن أُوضح ما أفهمهُ من "الحماس" وكيف أرى دوره في السياسة.

في الواقع لقد سُئلتُ كثيراً لماذا أتحدث عن الحماس بدلاً من العواطف. ولهذا السبب أُريدُ التأكيد على أنهُ من المنظور الذي أُدافع عنهُ، من الضروري التمييز بين «الحماس» و «العواطف». فيما يتعلق بالمجال السياسي، تم الإسهاب في مُقاربتي؛ وإحدى مبادئها المركزية هو أننا، في ذلك المجال، نتعامل دائماً مع الهويات الجماعية التي لا ينقلها مُصطلح «العواطف» بشكل كاف، لأن العواطف عادة ما تكون مُرتبطة بالأفراد. ومن المؤكد أن «الحماس» يمكن أن يكون ذي طبيعة فرديَة، لكنني اخترتُ استخدام هذا المُصطلح، مع دلالاته الأكثر عُنفاً، لأنهُ يسمح لي بتشديد أبعاد الصراع واقتراح المواجهة بين الهويات السياسية الجماعية، هُناك جانبَان أعتبرهُما مُكونين للسياسة. أؤكدُ أنهُ من دون فهم الدور الحاسم الذي يلعبهُ الوجدان الشائع في تشكيل الأشكال السياسية لتحديد الهوية، لا يمكن تصوّر ما هو على المحك في السياسة الديمقراطية. بعد عرض المبادئ الأساسية لنهجي أو مُقاربتي النظرية، سوف أُوضح كيف أن هذا النهج مُناسب بشكل خاص لفهم طبيعة اللحظة الشعبوية التي تُميّز حاضِرُنا الحالي وكيفية الإجابة عن التحدي الذي يُمثلهُ.

الخصومة والهيمنة

لفهم ما أعنيه «بالحماس» وكيف أرى أن دورها في السياسة يتطلب معرِفة الإطار النظري الذي يُخبِر مُقاربتي. وقد تم وضع هذهِ المُقارَبة لأول مرة في الهيمنة والإستراتيجية الاشتراكية، الذي كتبتهُ بالاشتراك مع المُنظّر السياسي الأرجنتيني أرنستو لاكلاو Ernesto Laclau، حيثُ قُلنا أن هُناك حاجة لمفهومين أساسيين لوضع نظرية سياسية: الخصومة والهيمنة. إن مفهوم الخصومة أمرٌ أساسي لأنهُ يفترض وجود سلبيات راديكالية تعوق تجمُّع المجتمع وتمنع إمكانية مُجتمع يتعدى الانقسام والسُلطة. إنهُ مُرتبط بمفهوم الهيمنة. إن تأكيد تجذّر الخصومة يتطلب الاعتراف بإستحالة الوصول إلى أرضية نهائية، وبدلاً من ذلك الاعتراف ببُعد عدم القابلية والإلتزام الذي يسود كل نظام. هذا هو بالضبط البُعد الذي يُشير إليه تصنيف الهيمنة، حيثُ أنهُ يُشير إلى أن كلُ مجتمع هو نتاج المُمارسات التي تسعى إلى تأسيس نظام في سياق الطوارئ. ومن وجهة النظر هذه، يتم تشكيل المجتمع عن طريق المُمارسات المُهيمنة الرسوبية؛ أي المُمارسات التي يبدو أنها تنطلق من نظام طبيعي، وتُخفي الأفعال الأصلية لمُؤسساتها السياسية الطارئة. ويكشفُ هذا المنظور عن أن كُل ترتيب ينتج عن التعبير المؤقت المَشكوك فيه للمُمارسات الطارئة. كلُ نظام هو تعبير عن هيكل مُعيّن لعلاقات السُلطة، ويتم تأسيسه دائماً من خلال استبعاد الاحتمالات الأُخرى، ومن ثم طابعهُ السياسي.

اقترحت فيما بعد التمييز بين السياسي، إذا أشرنا إلى بُعد السلبية الراديكالية، للخصومة الذي يُمكن أن يظهر ضمن مجموعة كبيرة مُتنوعة من العلاقات الاجتماعية والسياسة، التي تتعامل مع مظاهر الوجود الحقيقي لهذا البُعد الأنطولوجي. وتهدف السياسة إلى إنشاء النظام وتنظيم الوجود البشري في ظل ظروف التي تجاوزها السياسي، ولهذا فهي دائماً محل نزاع. ونجد أن هذا التمييز بين السياسي والسياسة في النظريات الأُخرى، وإن لم يكُن دائماً مع نفس الدلالة. نحنُ نستطيع في الحقيقة التمييز بين طريقتين مُتعارضتين لتوصيف الشيء السياسي. هُناك هؤلاء الذين يُشيرُ لهم الشيء السياسي مساحة الحرية والعمل المُشتَرك، في حين يرى الآخرون الشيء السياسي كموقع للنزاع والتخاصُم. وهذهِ المُقارَبة الثانية هي التي أدافع عنها، والأطروحة التي أُدافع عنها هي إنهُ فقط عندما يتم الاعتراف بطبيعة التقسيم والخصومة التي لا يمكن استأصالها، يكون من المُمكن التفكير بأسلوب سياسي بشكل صحيح، وإدراك التحدي الذي يواجه السياسة الديمقراطية.

مع الأخذ بعين الاعتبار البُعد السياسي الذي يعترف بوجود

نزاعات لا يمكن أن يكون لها حل عقلاني هذا بالضبط هو المقصود بـ «الخصومة». فحتى نكون مُتأكدين، ليس كُلُ النزاعات ذات طبيعة عدائية، ولكن محتمل أن تكون النزاعات السياسية ذات طبيعة عدائية، لأنها تتضمن دائماً قرارات تتطلّب الاختيار بين البدائل التي لا يمكن تبريرها من وجهة نظر عقلانية تماماً. لن يكون بوسع الحياة السياسية إطلاقاً الاستغناء عن الخصومة، ذلك لأنها تتعلق بالعمل العام وتشكيل الهويات الجماعية. وتهدفُ إلى تشكيل «نحنُ» في سياق التنوع والصراع. ومع ذلك، من أجل تشكيل «نحنُ»، يجب على المرء أن يُميّزها عن «هُم»، وهُناك دائما احتمال أن يأخذ هذا «نحنُ/هُم» – في ظروف مُعيّنة، صورة مواجهة خصومة الصديق الخصم. ولهذا السبب فقد جادلت بأن المسألة الحاسمة للسياسة الديمقراطية لا تتمثل في التوصّل إلى إجماع دون استبعاد من شأنه أن يرقى إل خلق «نحنُ» دون أن يُقابلُها «هُم» بل أن يبني التمييز بين نحنُ/هُم في طريقة مُتوافَقة مع المؤسسات الديمقراطية التعدُدية.

وهذا شيءٌ مُعظم المُنظرين اللبراليين الديمقراطيين قد تملصوا منه، بسبب الطريقة غير المُلائمة التي يتصورون بها التعدُدية. فبينما هُم يُدركون بأننا نعيشُ في عالمٌ حيثُ تتعايش فيه وجهات نظر وقيم مُتعددة، وأنهُ من المستحيل أن يتبناها جميعاً كُل واحدٌ منا، فإن هؤلاء المُنظرين يتصورون أن جلب هذه الرؤى الشاملة والقيم مُجتمعة يُشكّلُ مجموعة مُتناغمة غيرُ مُتضاربة. ولهذا، فإن هذا النوع من الفكر غير قادر على تفسير الطبيعة المُتناقضة بالضرورة للتعدُدية، والتي تنبع من استحالة التوفيق بين جميع وجهات النظر، وهذا هو السبب أنه لا بُد لهذا الفكر أن يستبعد الشيء السياسي في بُعدهِ العدائي. ومن المؤكد، أن الليبرالية التعدُدية تُقر بأنهُ، في الديمقراطية، لا يمكن بعد الآن اعتبار 'الشعب' «واحد»، بل أنهم يرونهُ «مُتعدد»، بينما حسب رؤية الهيمنة يجب فهمهُ على أنهُ «مُنقسم».

بعد انتهائي من كتابي «الهيمنة والاستراتيجية الاشتراكية، وبينما كُنتُ أدقق في النُقاش الدائر بين المُنظرين الليبراليين الديمقراطيين، أدركتُ أنهُ لا النموذج التجميعي ولا النموذج التداولي سمحا لنا تصوّر إمكانية وجود سياسة هيمنة ديمقراطية. ولتدارك عدم التناقض بين الخصومة والطبيعة المهيمنة للسياسة، كانت هناك حاجة إلى مُقاربة مُختلفة وهي مُقاربة قادرة على مُعالجة الأسئلة التالية: كيف يُمكن لنظام ديمقراطي أن يعترف ويُدير نزاعات لا يوجد لها حل عقلاني؟ كيف يُمكن تصوّر الديمقراطية بطريقة تسمح بحدوث مواجهة في وسطها بين مشاريع هيمنة مُتعارضة؟ وجوابي على هذه الأسئلة هو النموذج التنافُسي للديمقراطية، الذي أرى أنهُ يوفر الإطار التحليلي اللازم لتصور إمكانية مواجهة ديمقراطية بين مشاريع الهيمنة.

ووفقاً للنموذج 'النضالي'، فإن تصوّر الديمقراطية التعدُدية بطريقة لا تُنكر البُعد العدائي يفترض تصوّراً لنمطين محتملين من مظاهر البُعد العدائي: كمواجهة 'صديق/عدو أو كمواجهة بين خصوم. فالأخيرة هي التي قد اقترحتُ أن نُسميها 'تنافُسية'. إن المواجهة التنافُسية تختلف عن المواجهة العدائية، ليس بسبب أنها تسمح بإمكانية الإجماع، وإنما بسبب أن المُنافس لا يُعتبر عدواً ليتم القضاء عليه وإنما هو خصم الذي يُعتبر وجودة شرعياً وقانوني. وهُنا يتم النضال من أجل الأفكار ستُناضل من أجل أفكارها بشدة، ولكن حقها في الدفاع عن أفكارها لن يتم التشكيك فيه أبداً.

من خلال التأكيد على الطابع التأسيسي للأنقسام الاجتماعي واستحالة المُصالحة النهائية، يعترف المنظور التنافُسي بالطابع الحزبي الضروري للسياسة الديمقراطية. ومن خلال تصوّر هذه المواجهة من حيث الخصوم، وليس أسلوب الصديق/العدو الذي قد يؤدي إلى حرب أهلية، فإنهُ يسمح بحدوث مثل هذه المواجهة داخل مؤسسات ديمقراطية. إن ما هو على المحك في النضال التنافُسي هو تكوين علاقات السُلطة ذاتها التي تبني نظاماً اجتماعياً ونوع الهيمنة التي يُقيمونها. إنها مواجهة بين مشروعين مُهيمنين مُتضاربين اللذان لا يمكن التوفيق بينهما بعقلانية. وبالتالي، فإن البُعد العدائي دائماً حاضر، ولكنهُ مُعتمَد عن طريق المواجهة المقبولة إجراءاتها من قبَل الخصوم. إن مثل هذه الرؤية التنافُسية تُراعي حقيقة أن كلُ نظام اجتماعي تتمُ مأسسته سياسياً وأن الأرضية التي تحدث فوقها تدخلات الهيمنة ليست مُحايدة أبداً، لأنها دائماً نتاج مُمارسات سابقة للهيمنة. فهي ترى المجال العام ساحة المعركة التي تواجه فيها مشاريع الهيمنة بعضها البعض، دون إمكانية لمصالحة نهائية.

إن التمييز بين الخصومة (العلاقة صديق/عدو) والتنافُس (العلاقة بين الخصوم) تسمحُ لنا بفهم لماذا، على العكس مما يعتقدهُ الكثير من المُنظرين الديمقراطيين، فليس من الضرورة إنكار تأصل الخصومة من أجل تصوّر إقامة نظام ديمقراطي. إن المواجهة التنافُسية بعيدة كلُ البُعد عن كونها تُمثّلُ خطراً على الديمقراطية، فهي في الواقع الشرط ذاته لوجود الديمقراطية. لا شك أن الديمقراطية لا يمكن أن تستمر بدون شكل مُعيّن من الإجماع، وهو «إجماع مُتضارب» يُشيرُ إلى الولاء للقيم السياسية الأخلاقية، التي تُشكّل مبادئها الشرعية، وإلى المؤسسات التي تم إدراجها فيها. ولكن يجبُ عليها أيضاً أن تسمح بتوفير تفسيرات مُختلفة ومُتناقضة في بعض الأحيان لتلك القيم السياسية الأخلاقية المُشتَركة، حتى يتمكن المواطنون من القدرة على الاختيار الحقيقي بين البدائل الحقيقية.

في مجلة حول الشأن السياسي (2005) وفي مجلة التنافُس (2013)، بدراسة الوضع الراهن للديمقراطيات الأوروبية، جادلتُ بأننا نشهد أزمة تمثيل سياسي بسبب عدم وجود إطار عمل تنافُسي. إنها نتيجة لما أُسميه بإجماع «ما بعد السياسي» في المركز الذي تم تأسيسه بين أحزاب يمين الوسط ويسار الوسط. وهذا الإجماع القائم على فكرة أنهُ لا يوجد بديل للعولمة النيوليبرالية، يعمل على ترسيخ الهيمنة القائمة. وبإمتناعه عن توفير إمكانية مواجهة تنافُسية بين المشاريع السياسية المُختلفة، فإنهُ يَحرمُ المواطنين من صوت في الانتخابات. وكما يزعم المُحتجّين في أسبانيا، 'لدينا تصويت ولكن ليس لدينا صوت'.

من خلال افتراض أننا نعيش الآن في مجتمعات اختفت منها الهويات الجماعية، وحيثُ أصبحت المُعارضة بين اليمين واليسار عتيقة، فإن منظور ما بعد السياسة يرفض الاعتراف بأن السياسة تمشي دائماً مع إقامة حدود سياسية بين نحنُ و هُم. وبإعلانه أن نموذج الخصومة قد تم التغلُب عليه، فإنهُ يحدُ من الديناميكيات التنافُسية ويُعرقل تبلور الأشكال الجماعية للهويات حول الأهداف السياسية الديمقراطية. وهذا ما يُفسّر تكاثُر الأشكال الأُخرى للهويات الجماعية ذات الطبيعة الأخلاقية أو الدينية أو العرقية. إنها أيضاً في الأصل – وسأعود إلى هذه النقطة لاحقاً، النجاح المتزايد للأحزاب الشعوبية اليمينية، التي غالباً ما تكون الوحيدة التي تزعم أن هناك بديلاً وأنها سوف تُعيد السُلطة للشعب التي سرقتها النُخب منهُ.

ولكن من أجل مُعالجة مسألة الشعوبية، أحتاج إلى مُعالجة مسألة «الحماس» في مجال السياسة. وكما قد أشرتُ بالفعل، بإستخدام مُصطلح «الحماس» أُريدُ تمييز تفكيري عن مسألة «الأحاسيس» الفردية. ومن خلال مُصطلح «الحماس»، أقوم بإدراج نوعاً مُعيّناً من الأحاسيس الشائعة، تلك التي يتم حشدها في المجال السياسي في تشكيل أشكال نحنُ/هُم للهوية. وهدفي هو تحدي وجهة النظر العقلانية السائدة في النظرية السياسية الديمقراطية، مع التأكيد على الطابع الجماعي والحزبي للعمل السياسي، وإلقاء الضوء على الدور الحاسم الذي يلعبهُ الوجدان في بناء الهويات السياسية. أحدى انتقاداتي الرئيسية للنظريات الديمقراطية الليبرالية هو عدم قدرتهم على الاعتراف بهذا البُعد العاطفي، وهو العجز الذي أعتبرهُ نتيجة لتصوّرهم للفرد، الذي يتم تقديمهُ باعتباره مُمثلاً في مجال السياسة يُحركهُ أما مصالحه الخاصة أو مخاوف أخلاقية. وهذا ما يحولَ دون الاعتراف بالطبيعة الجماعية للفاعلين السياسيين ويمنعنا من طرح أحد الأسئلة الرئيسية للسياسة: كيف يتم إنشاء أشكال الهوية الجماعية وما هو الدور الذي تلعبه العواطف في هذه العملية؟

مي زيادة: بذور الجنون والعبقرية

عادت مي زيادة إلى واجهة المشهد الثقافي العربي من خلال رواية الكاتب الجزائري واسيني الأعرج، «ليالي إيزيس كوبيا»، منقبا فيها عن أسرار حياتها الثانية بعد فقدانها لوالديها، وخساراتها التي تتالت حتى وافتها المنية.
عادت إذن وعاد الجدال بشأن مرضها العقلي الذي نُسب إليها ولا تأكيد على حقيقته، خاصة أن فترة ثلاثينيات القرن الماضي، لم تكن فترة تطور طبي لتشخيص نوع مرضها وتمييزه عن الحزن ومشاعر الخيبة التي لحقت بها جرّاء فقدانها لوالدها، و انفتاح شهية الورثة للنيل منها، والحصول على ميراثها.

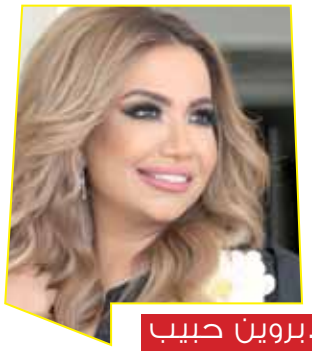

د.بروين حبيب

وقد اختلفت قصّة مي عن قصص كتاب وشعراء وفنانين عانوا من أمراض عقلية فعلا، كون أي جنون تسبقه بوادر وإشارات وجذور عائلية تؤكده، أو تنفيه. فقد عانى غي دي موباسان من نوبات البارانويا مثلا، هو الذي عاش مع أم مكتئبة وأخ مجنون توفي باكرا، وقد تقفّى أغلب من تناول أدبه بالدراسة آثار جنونه في كتاباته وقد قيل إن لا عجب أن يكتب نصا عبقريا عجيبا مرعبا مثل " الهورلا"، فقد كانت حبّة العبقرية تفرّخ في رأسه بذورا ميزته ولكنها أجهدته في الأخير، إذ عاش حياة لا تشبه حياة من حوله، في عزلته، وشكوكه، وريبته، ومراقبته لكل كائن متحرّك أمامه، واكتفائه بسماع أصوات رأسه، دون حاجة لأصدقاء وحياة اجتماعية مثل أغلب الكتاب.

وبقدر تألقه الأدبي، بقدر ما نالت حياته القسط الأوفر من إهتمام الصحفيين والباحثين وصناع الدراما بنوعيها التلفزيونية والسينمائية، بذرة الجنون تلك، والتي قضت عليه وهو في ريعان شبابه كانت أكثر ما ميّز شخصيته وجعله مركزا للحياة الأدبية في زمنه وغير زمنه بعد وفاته.

ثمان وسبعون سنة مضت على وفاة مي زيادة، ولا تزال مادة دسمة للبحث، ولا أعتقد أنها ستكون كذلك لو أن مسار حياتها لم تعكّره تلك الأحداث المؤسفة، والتي عصفت بصالونها، وشهرتها، وبريقها، وبالذكور الذين كانوا يحومون حولها، لأسباب تعدّدت، لكن أغلبها ليس نبيلاً.

لقد كانت مخاوف إبن العم جوزيف الذي زجّ بها في مستشفى المجانين في محلّها، حين خاف أن تذهب ثروتها للصهر الإفتراضي، إذ ما كان ليختلف عن أي شخص من بيئته الشرقية، التي تعتبر الميراث من نصيب ذكور العائلة، ولعلّ الوضع كان ليختلف تماما، لو أن مي عرفت رجلا حقيقيا بين رجال الورق الذين صادفتهم في حياتها، وتزوجته وكوّنت عائلة، كان مصيرها ليختلف تماما، ولكنّها لم تستوعب المجتمع الذي انبثقت منه، ولم تعرف خطورة أفكارها عليها، هي الحالمة بتغيير مجنون آنذاك.

لقد رأيت دائما أن مي زيادة "حالة" كان يجب دراستها من باب علم الإجتماع، حتى نفهم مجتمعاتنا العربية جيدا، والتي تعاقب الضحية في الغالب و تكافئ الجاني.

إن حكاية "المرض العقلي" ليست بالأمر المهم في حياة كاتبتنا، فكل إنسان معرّض لصدمات قد تقضي إحداها على قدرته على التّحمُّل، لكن الأهم هو كيف تعامل الجميع مع هذه "المريضة الثرية" ؟

تحضرني فرجينيا وولف التي عانت أكثر من مي زيادة، وعاشت هزّات نفسية نجد لها آثارا واضحة في كل ما كتبت، لكنّها رغم ذلك كانت أكثر حظّا، إذ قدّم لها زوجها الكثير من الرّعاية، حتى أشفقت عليه، وفضلت أن تموت على إفساد حياته.

وتحضرني أيضا زيلدا وفرنسيس سكوت فيتزجيرالد، وعلاقتهما الغريبة، المتأرجحة بين الحب والغيرة، بين الرغبة في التملّك، والرغبة في الإنعتاق من العلاقة، بين المرض العقلي وعبقرية الإبداع، بين الطعن المؤلم، والوله اللامفهوم، وقد قيل إن فيتزجيرالد استغل زيلدا أدبيا، ليس فقد كمصدر ملهم لم يجد غيره، بل بلغ به الأمر أن سرق نصوصا لها وغذّى بها نصوصها، وهذا الجانب سنجهله إلى الأبد فيما يخص كتابات مي زيادة التي ضاعت عند جبران خليل جبران وغيره من الذين راسلتهم، وحافظوا على علاقاتهم بها، دون أن نعرف إلى أي مدى كانوا أخلاقيين تجاه نصوصها الجميلة.

أشك و أكاد أجزم أن جبران خليل جبران لم يكن يحب في مي غير رسائلها، ولو أنّه بادلها حقاً ذلك الشغف والحب لما عاش بعيداً عنها عشرين سنة كاملة، يتنقّل بين أحضان العشيقات والخليلات في أميركا، ويبادلها حبا على ورق، فأي رجل عاشق هذا الذي لا يستهويه الرحيل إلى ديار حبيبته لرؤيتها؟ لقد وقعت مي في غرام شخصية رسمتها له، هي نتاج مخيّلتها، وهي من هذا الجانب لا تلام، فقد عاشت حياة مختلفة، عمّا عاشه كل الرجال الذين كانوا حولها. كانت حالمة، وكانوا رجالا يريدون قضاء وقت ممتع مع سيدة جميلة ومختلفة.

نحن أيضا نرى أولئك الرجال بعيون مخيلتنا، ولهذا يبدو لنا العقاد رجلاً قوياً وشامخاً، وولي الدين يكن رجلاً رقيقاً عاشقاً، والأزهري مصطفى عبد الرّازق هرماً دينياً لا يجب المساس بعفته، وهلم جرّا...

قد يقول البعض إن مي زيادة أيضا لم تكن بالتأكيد تلك المرأة العصية على الرّجال، وأنها مثل أي أنثى، استمالت البعض، وجاملت البعض، وهربت من البعض، فالنّفس البشرية واحدة، ولن تختلف كاتبتنا عن غيرها من النّساء في زمنها، خاصة نساء الطبقة الأرسطوقراطية المتعالية، التي نالت من التعليم وخبرة الأسفار ما ميّزهن عن غيرهن، لكن مي كانت فوق كل ذلك كاتبة، وجمعت حولها كتاباً وشعراء، وشخصيات مشهورة، ما وثّق لتاريخها، وأبداها لنا، فريدة من نوعها.

ما أريد الوصول إليه، هو أن شخصية مي لم تصلنا كاملة، والدليل هذا التناقض الصّارخ بين شقي حياتها، حين كانت في حماية والدها، وحين أصبحت مجرّد امرأة بدون سند، حين لم ينفعها لا ذكاؤها الذي تغزّل به عشاقها، ولا علاقاتها، وكأنّ ذلك الصالون الشهير، الذي ضمَّ نخبة النخبة، لم يكن سوى واجهة وهمية لأشباح، فجأة برز إبن العم الشرير، مع بعض أفراد العائلة، فاختلّ توازن السيدة التي خطفت القلوب والعقول، فضربها وأهانها، وجرّها من شعرها، وأودعها مستشفى للأمراض العقلية، وحصل على توقيعها ليدير أملاكها، وكأنها " ست بيت" أمية تماما، فقد انتهت بسهولة كما تنتهي الفراشات عند أول لمسة بشعلة شمعة...!

تفهمت تماماً تعاطف الروائي واسيني الأعرج مع مي، وأنّ ما حدث لها كان جريمة في حقها، لكن إن لم يخلصها الرئيس اللبناني شخصيا آنذاك، بطلب من حفيد الأمير عبد القادر جزائري، فماذا نستنتج؟

النتيجة التي استخلصتها من خلال قراءاتي، وكوني ابنة هذا المجتمع الشرقي الظالم لنفسه ولنسائه على وجه الخصوص، هي أن شخصية مي زيادة لا تزال غامضة، وأن حلقات مفقودة كثيرة، التهمتها الأيام، ومن حولها، وأن ما ظلّ من الأسرار المخفية بشأنها أكبر بكثير مما كُشف لحد الآن.

لم أرَ أحلى من حديثكم

أهداني صديق فرنسي عزيز على قلبي كتاباً نادراً يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، كتاباً مستعملاً قرئ آخر مرة في 1940 من قبل قارئ فرنسي مجهول يعيش في شمال فرنسا. فرحتي لم تكن تصدق عندما وقعت عيني على صفحاته وتخيّلت القارئ المجهول وهو يتصفحه تلك السنة، في فترة كان مستقبل القارة الأوروبية فيها على المحك، والدول تتشابك فيما بينها. لم يكن هذا الكتاب عادياً، بل هو رواية مهمة جداً لروبرت برازياك، مؤلف فرنسي مشهور، تمّت تصفيته بعد الحرب عام 1945 بتهمة خيانة الجمهورية. صُفي ظلماً وحزن رهط معروف من الكتاب عليه.

اسم الرواية: «الألوان السبعة» أو لنقل ألوان الحب السبعة. نعم، الرواية تتحدث عن الحب وليس لها شأن كبير بالسياسة، حيث تم نشرها في اليوم الذي يلي إعلان الحرب، فتتبدى لنا روح الفن قبل الحرب وفرادتها النوعية، بل و كذلك قدرتها على مزج المسرح والصحافة والمونولوج في سبعة أجزاء. نرى من خلالهما البطلان كاثرين وباتريس يكتشفان أزقة وضواحي باريس في 1920 ويقعان في حب الحقبة الجميلة وحب بعضهما، لكنهما سرعان ما يفترقان بسبب سفر باتريس الى ايطاليا الفاشية وعمله فيها كمعلم.

لم تتحمل كاثرين الفراق وسرعان ما تزوجت من رجل آخر لإغراق حزنها ونسيان باتريس. تملّك هذا الأخير الحزن وقرّر السفر الى المانيا والعمل في غرفة التجارة الفرنسية، حيث التقى بإليزابيث ووقع في حبها، إلا أنه لم يستطع نسيان كاثرين. رجع باتريس إلى فرنسا لسرقتها من زوجها الذي أصبح فاشياً ولكنه خسر المعركة، خسر كاثرين أو ربما أنه خسر فرنسا، فكاثرين هي بلده بكل ما فيها من جمال.

ما أكثر ما يحدث في الحياة من لقاءات وخسارات ! لم يبقَ برازياك على قيد الحياة حيث أنهت السلطات الفرنسية حياته عام 1945، وتوفي عن عمر لم يتجاوز ال 35 سنة فقط. وردت صورة روبرت في مجلة المانية وغضب الجنرال شارل ديغول كثيراً عندما رآها. لم يغفر له بالرغم من غفرانه لعدد كبير من الكتاب المتواطئين مع المانيا فترة الحرب، إلا أن برازياك كان عزيزاً عليه و خامته الأدبية كانت نادرة، فلم يتحمل ديغول الصدمة وأسرع بتصفيته، ليكتشف لاحقاً بأن الشخص الحاضر في الصورة لم يكن برازياك وانما شبيهه. ياللخسارة ! رحل برازياك ورحل معه فكره ومجلته، إنه لفقدان كبير، ضياع بأن ترحل مجلته: أنا في كل مكا « Je suis partout »، فقد كانت مجلة جريئة بكل مافي الكلمة من معنى، ومُعرّية لكل فضائح السياسيين في البلد، وحقيقة المستقبل وما بني عليه من إعمار لإسرائيل.

لا أحد يجرؤ اليوم في الوسط السياسي والإعلامي أو حتى الأدبي على الحديث عن برازياك، فالكل يهاب مصطلح معاداة السامية، أو معاداة اليهود إن وددنا الصراحة. وحدهم أصحاب دور النشر الصغار يستطيعون ذلك ، وعددهم قليل بالمناسبة، إلا أننا لا نستطيع زيارة باريس من دون المرور بهم لاحتساء كوب شاي أو فنجان قهوة والحديث عن آخر إصداراتهم. إنهم يصارعون الموج من أجل البقاء على الساحة أمام اكتساح كبير لدور النشر الكبرى، تلك التي تنشر مزبلة القطارات، ويشتريها العامة.

دار نشر فرنسية تدعى « Le dilettante » ، أو الهاوي الذي لا يهتم إلا بهوايته لا تنشر فعلاً إلا ما يهوى صاحبها ذو الذوق الرفيع. ينكب صاحبها انكباباً على ما لا تجرؤ الدور على نشره ويعيد نشره بحلة جديدة، أو يحتفظ بكتب مهمة نادرة ويعيد بيعها على من يستحق، كالكتاب الذي تحدثت عنه آنفاً. تنشر هذه الدار مرتين في الأسبوع نشرة تدعى «كل الإتجاهات»، وتهتم بنشر مقالات نادرة أو غريبة التقديم لمن يهوى القراءة والكتابة. أظن بأن من يهوى برازياك مثلي لن يتردد عن المشاركة في هذه النشرة المتواضعة.

في حي ليس ببعيد عن نهر السين ومعهد العالم العربي، نرى مكتبة ابن سيناء أو دار العم هاشم الذي يجتمع فيها خيرة المفكرين العرب مساء كل جمعة. ذلك الهاوي الاخر وصديق الشاعرين الكبيرين محمود درويش وقاسم حداد وجماعة هائلة من الشعراء والكتاب.

لقد كان العم هاشم وما يزال مستشاراً لعدد كبير من القراء، بيد أنني كنت أرجع اليه عندما أود قراءة إصدار عربي. افتتحت المكتبة عام 1986 وحضر افتتاحها كبار الشخصيات في باريس، ليتم تصنيفها كمعلم ثقافي مهم من معالم العاصمة. رفض العم هاشم إصدار الكتب التي لم تنل اعجابه بالرغم من العروض الجيدة التي كانت تدّق بابه، فكان وما يزال يصر على أن تبقى المكتبة معلما نادراً لا يستقبل إلا من يقدر قيمة الأدب النادرة وحاجة العالم له. صعب جداً الوقوف فترة طويلة في وجه التطور التكنولوجي واكتساح الهزيل للراقي، فكم كبير من المكتبات قررت الرحيل و كانت مكتبة ابن سيناء واحدة منهن، الا أن العم هاشم لم ينفك عن تأجيل موعد الرحيل.

رجعت إلى البحرين وما زلت أرى صور اللقاءات و أتمنى وجودي في المكتبة، ثم أرى العم هاشم يكتب على صفحته في الفيسبوك : "لا أعرف متى سيكون آخر اللقاءات ولكن نحن ماضون بابتساماتنا" ثم أراه يقتبس للمعري فيكتب: "منازل قومٍ حدثتنا حديثهم/ و لم أر أحلى من حديث المنازل".

سوسن حسن

صناعة الازدواجية ضد كائن الأنثى المستتر إلى الأبد

تسمع أصواتاً مألوفة لمجلس عزاء في طريق ما.. يسأل رفيقي عن المتوفى، فيجيبه أحدهم باقتضاب: "مرا"! قاصداً في إجابته "أنثى"، نكرة، حسب اللغة العربية التي تعتبر كل اسم شائع في جنسه لا يختص به واحد دون الآخر. وبينما تقال لفظة "مرا" المستمدة من "المرأة" في مناطقنا، تصير مستهجنة في بعض الدول العربية، فتأخذ شكلاً من أشكال الشتيمة التي تستهدف من خلالها الأم، أو الأخت، أو حتى الزوجة، في مرادفة تعني الحط من قدر المقصود، للارتباط الشَّرطي المباشر والصريح بين "الشرف" والأنثى.

زهراء المنصور

وهذا الحرص في إخفاء اسم المتوفية عن عابر مار، مثل رفيقي، لم يكن صدفة مرتجلة، بل حتى في إعلانات التعزية التي تتصدر وسائل الإعلام والتبليغ عن متوفى ما، سيكون ذكر الاسم كاملاً، مع بيان مركزه الوظيفي أو الاجتماعي، وكتابة أسماء أولاده الذكور، وسيكون الإعلان فخماً وذا سند لو أقرن هذا بوظائف يعتبرها المجتمع "راقية" ترفع من شأن المتوفى ونتاجه الذكوري الفاخر! أما إذا كانت أنثى، فيمكن أن يظهر اسمها الكامل على اعتبار أنها زوجة "ياء"، ووالدة "ألف" و"ميم" و"طاء"! .

وفي الحالات التي –قطعاً– لا إحصاءات لها، لكنها الغالبة في هذا المشهد الذي تطالعنا به الصحف اليومية، أشدها مرارة تلك التي تكتب أنها أرملة الراحل فلان – الذي يذكر اسمه بالكامل– بتفاصيله السابقة أو الحالية إذا كان على قيد الحياة، في ازدواجية مستغربة تظهر بأشكال اعتدنا عليها، وسيُكتب في الإعلان أيضاً أولادها من الذكور فقط، مع تذييلهم بمراكزهم الوظيفية –إن كانت تدعو لتفاخر لا مكان ولا مناسبة له في الإعلان!

التعزية قد تكون النهاية الحزينة لمخلوقة كُتب عليها أن تكون بلا اسم معظم أوقات حياتها، لكن في هذه الحياة عاشت بنت فلان منسوبة لأبيها، أو أخيها، أو زوجها، وإذا أنجبت بكرها بنتاً فلن تنادى باسمها قطعاً، وسينتظر الجميع أن يأتي الذكر لتنادى به، ويفخر والده بالجملة العبثية في أن "يحمل اسم والده"، وكأن الأنثى لن تفعل هذا له، كونها أقدمت على الزواج من آخر سيفرح أهله أيضاً بإنجابه من سيحمل اسمه. وبذريعة الاحترام المقبولة أيضاً، تُنادى النساء باسم الابن البكر، حفظاً للمقامات الاجتماعية، وكذلك فرق السن؛ الذي سيجعل من الاسم المجرد أسلوب مناداة قليل التهذيب. وهكذا تدور دائرة المجتمع المسكون بالأعراف والمحكوم به، والإناث اللاتي تلدن الإناث والذكور، لتدخلن في ذات الدائرة من تلقين ما يعتقدون، وممارسة نفس الوحشية والإجحاف، وهو ما يعني –ضمنياً– التشييء والتمييز العنصري الذي مورس عليهن.

في الوقت الذي تخضع فيه الأنثى، منذ زمن بعيد، لاختبارات في الحياة لا تتعلق إلا بالنوع الاجتماعي (الجندر)، منذ الوأد وقبله، وكل ما شملته هذه المرحلة من استلاب واستضعاف. أما بعده، فهو فصل آخر طويل، لا يزال مستمراً، رغم كل محاولات المجتمع المتحضرة والمصدرة لأفكار تقدمية، وحداثة تمارس بشكل فاعل، مساير لحقوق الإنسان، وضماناً للالتحاق بالسبق الدولي في هذا الشأن. وللحق؛ فإن انتصار هذه القوانين قد أعطى الأنثى حقوقاً كانت في السابق تقع في خانة المستحيل والطموح والتمرد، وأمست منذ وقت غير قصير، تعمل وتختار شريكها، وتستقل مادياً، ولها حقوق وواجبات المواطن –مع الأخذ بالاعتبار بعض المعايير–.

لكن فوهة الأعراف غير معروفة المصدر تطلق الأحكام لمدد تصل إلى عمر كامل، وتدخل في تفاصيل غير مفهومة من الناحية المنطقية. فكيف لحياة إنسان أن تكون على هيئة Hide، كما في الحاسب الآلي، التي تختفي متى ما أراد صاحبها رغم حاجته إليها؟ ولماذا الأنثى هشة؟ لمَ هي نقطة ضعف عائلتها؟ لمَ الشرف ينسب إليها؟ لمَ يقع عليها العبءَ الأكبر في سمعة العائلةَ؟ لمَ الشتائم الذكورية –تحديداً– مؤلمة، ومتَصلة بالكرامة، ومحفزة للغضب الشديد، حين تتصل بنساء البيت؟ هل هي أسئلة بدائية يفترض أن صلاحيتها انتهت منذ وقت بعيد؟ لمَ لا زلنا نخضعها مِراراً لمقياس الحياة التَي يختارها مجتمعها لها، بمعاييره، وشروطه المتغيرة؟

ولا حاجة أن نعود إلى التاريخ الإسلامي أو غيره، الذي يتخذه البعض حجة رديئة لمثل هذه الممارسات. فالديانات –عموماً– تذكر الأسماء صريحة، ولن نعاود تكرار ما بحث فيه آخرون، وبما مفاده أن الدين في قوانينه لم تتقاطع مع هذه المسألة. لكننا نرى أحكام الدين تخرج على هيئة فتاوى وردود "شرعية" لأسئلة تميل إلى سذاجتها، وتنمُّ عن اتكالية السائل، مثل تلك التي بعثت تستفسر عن "إخفائها" لاسمها في كثير من الأحيان، وتسأل إن كان يعد هذا من الكذب؟! فيجيبها بما يعزز الإخفاء، مع التنويه ألا يتضمن إسقاط حق لأحد، ولا ظلم أحد.. وفاتَه أن يذكر لها أنها تظلم نفسها!

ويسوق الكاتب المسرحي هوشنك وزيري فكرة "النكرة" في مسرحية "فلانة" البطلة، التي لا يُعرف لها اسم طول العرض، والتي أدتها آلاء نجم باقتدار كبير، في التعريف عن نفسها لجمهور تخاطبه بشكل مباشر. "أنا اسمي فلانة. نعم فلانة. هذا اسمي، أبي أسماني فلانة، وزوجي كان يناديني فلانة. ولماذا تستغرب؟ إنه اسم كبقية أسماء خلق لله. يقال بأنه كان لي اسم آخر، لكنني لم أهتم كثيراً. (تقترب

من الطاولة) ليش تضحك؟ إي شو يعني؟ أي أصلاً كان أبي ينادي نسوة البيت كلهن بفلانة. تعالي يا فلانة، روحي يا فلانة، خذي يا فلانة، جيبي يا فلانة، أسرعي يا فلانة، تعالي هنا بسرعة يا فلانة». فكرة فنتازية متصلة بواقع فلانة/الأنثى، التي عبَّرت عن بقية الشقيقات، والأم، والدائرة الكبيرة خارج هذا النص المسرحي من جهة، وبوجود الأب «باسم قهار»، الذي نطق بضع جمل محدودة ونموذجية للغاية، بنبرة صوت مدروسة ومقتبسة من الواقع، جعلت من شخصيته مرجعاً لكل مونولوجات «فلانة»، وسبباً رئيسياً للانتكاسات في حياتها.

كما أن وجود ممثل آخر صامت طوال العرض، هو «عمر ضياء الدين»، عبَّر عن وجود الذكر المادي، دون أن يكون ذا أثر فاعل في الحياة. فلا ارتباط بينه وبين الحدث أو الحوارات في العرض المسرحي، إلا ببعض الحركة والضبط الإيقاعي. ولعل من المهم الإشارة إلى أن هذا العمل قائم على يد اثنين من الذكور؛ هما المؤلف وزيري، والمخرج حاتم عودة، وليس كما جرت العادة أن تكون مثل هذه العروض نسائية/نسوية، وهو ما يفسر تلقائياً بالصلة المباشرة بين المشكلة أو الحدث المستعرض وبين «القائمات» عليه، كتعبير حي عن المعاناة. لكن مصدر قوة عرض «فلانة» نابع من ذكورته المحايدة، والمجانبة لواقع مر تعاني منه نساء كثيرات في الشرق والغرب أيضاً.

ومهما كتبت الأقلام وكررت في هذا الموضوع أو غيره، مما يصب في دائرة النسوية التي يرتكز جلها على اضطهاد الإناث –ولو بشكل ضمني غير مباشر– لن يصل للوصف الحقيقي الواقعي، ليس فقط في المجتمعات الصغيرة الواقعة ضمن نسيج اجتماعي يُحكم بالعادات والتقاليد التي يعتقد لمن يمارسها امتدادها الديني «المتخيل»، بل يمكن أن تمتد للنشاط الاجتماعي والسياسي المعلن، كما حصل قبل عامين أو أكثر، في توجه بعض القوائم الانتخابية في بلد عربي لانتخاب مجالس محلية، فتم شطب أسماء وصور المرشحات، واستبدالها وإلحاقها باسم الأب أو الزوج! فإذا كان النشاط العام يؤيد هضم حقها، وتقليل حجم حضورها وأهميته، فهل يُلام الأفراد إن سلكوا ذات النهج؟

إن الحديث عن تحمُّل الأنثى كل المسئولية المرتبطة بأنوثتها بالشكل السلبي الآنف، يحمل في ثناياه جوانب إيجابية لا تُعد. فجنس الأنثى مرتبط على الدوام بالجانب اللطيف و«الناعم» من الحياة، كما وجود الذكر الذي يحقق معادلة سوية. أما مسألة تفريغ الإناث من أسمائهن، فصار وقت مقاومته والقضاء عليه، رغم أن هذا الوقت لم يكن موجوداً بتوازنه الصحيح والمطلوب على مر الزمن! ومهما كانت الآراء المتباينة حول أغراض المتنبي من كتابة الشعر، فلن يختلف أحد على فصاحته وحسن تعبيره –في المجمل– وحين رثى إحدى قريبات سيف الدين الحمداني بشعر، قارب فيه معنى إخفاء الاسم:

فما التأنيثُ لاسم الشمسِ عيبٌ
ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

فمتى –أيها العرف– متى تكفُّ أذاك عن نون النسوة؟

الدور الثوري للأدب

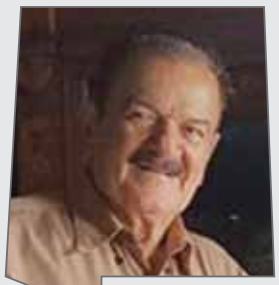

عبّاس عبدالله

لا شكَّ أن شكسبير يعتبر من رواد الأدب الانسانى الراقي، شأنه في ذلك شأن الشاعر بوشكين، نيكولاى جوجول، فيودور ديستوفيسكى مؤلف رواية «الجريمة والعقاب»، تولستوى مؤلف روايتي «آنا كرنينا و»الحرب والسلام»، تشيخوف، الشاعر ليرمنتوف وغيرهم.

لكن قروناً من استعمار التاج البريطانى للشعوب شكّلت ماكينة جبارة لنشر أعمال شكسبيربالذات، لم تتوفر لسواه من كبار الكتاب الذين لا يقلون عنه إبداعاً وأهمية.وهذا ليس سيئاً بحد ذاته، بل بالعكس، فهو يكشف أحد الفروق بين الاستعمار البريطانى والهيمنةالامبرياليةالامريكية.

صحيح أن كلتيهما قد نكلتا بالشعوب ونهبتا وما زالتا تنهبان خيراتها، ولكن على عكس التاج البريطانى، فإن الأمريكان لم ولن يتركوا أي «تراث» يذكر، ليتذكره أبناء وبنات الأجيال القادمة من الشعوب التي نكبت بهيمنتهم على مقدراتها.

وخير برهان على عمل الماكينة الدعائية للدول الغربية المهيمنة، وبالاخص الأمريكية هو كيف أنها تبرز للسطح من تريد لهم ذلك، بينما تخفى عن شعوب العالم مآثر وانجازات الشعوب الأخرى فى الفكر والعلوم. وعلى سبيل المثال فإن السوفيتي يوري غاغارين هو أول انسان انطلق إلى الفضاء، إلا إنه لا يعطى له القدر الذى نراه عادة لرواد فضاء اخرين لم يكن لديهم انجازات تذكر، ولم يحظوا بشرف الريادة مثله.

كانت ادارة الرئيس الامريكى رونالد ريجان مخططة وشريكة فى الانقلاب الدموى فى تشيلى ضد حكومة سلفادور الليندي، لذلك لم تتفوه الأدبيات البرجوازية والماكينة الإعلامية الغربية بكلمة عن المجازر التي ارتكبها بينوشيت، وجرى تجاهل دور ومكانة الشاعر الاممى الشجاع المبدع بابلو نيرودا، وهو أحد المبدعين الذين جمع بينهم مناهضة الظلم والاستبداد، في رسالة عابرة للقارات، على عكس كتاب ومفكرى البرجوازية وأصحاب المال.

لقد اعتنت التنظيمات اليسارية، بما فيها جبهة التحرير الوطني في البحرين، ليس فقط بنشر الوعي والتوعية بالظلم الاجتماعى والانخراط فى الحراك الشعبى، وإنما عملت على تنمية اهتمام مناضليها وأبناء الشعب البسطاء بالأدب الثوري، وبدوره التثقيفى الجبار، حيث أصبح هؤلاء المناضلون متلهفين لقراءة كتب لأدباء وكتاب يعبر إبداعهم عن أحاسيسهم وطموحاتهم والآمهم، وبوسعنا أن نذكر هنا، على سبيل المثال، الكاتب الروسى مكسيم غوركى فى روايته الشهيرة «الأم» وجورج حنا فى روايته «عبيد الجبار»، ونيقولاى اوستروفسكى فى روايته «كيف سقينا الفولاذ».

ولا ننسى هنا روايات الكاتب العظيم ديستوفسكي، الذي لكي ندرك أهمية أدبه، لنقرأ ما قاله عنه عالم الرياضيات الشهير كارل غاوس: «إذا سألتني بمن أنا مُهتَم حالياً فسأجيبُك بدوستويفسكي. دوستويفسكي قدّم لي أكثر ما قدّمه أيُ عالمٍ من قبل بما فيهم غوس نفسه.»

أما فريدريك نيتشه فقد قال عنه: «النفساني الوحيد الذي كان لديه شيء ليُعلّمني إياه، إن معرفتي به كان أعظم شيء حصل لي في حياتي.» واستمتع هرمان هيسه بقراءة أعماله واستمر بقراءتها واحداً تلو الآخر بلا توقّف على حد تعبيره. وكتب الروائي النرويجي كنوت همسون: «لم يُحلّل أحد من قبل الهيكلية النفسية المعقدة للإنسان كما حللها دوستويفسكي. حسّه النفساني عظيم ومثالي".

العاطل

ترجمة:
أحمد الرحبي

قصة: أنطون تشيخوف

آوى بيريبيولكين، حامل شهادة الدكتوراه في الحقوق، إلى غرفته في الفندق وشرع يكتب:

عمي العزيز إيفان نيكولايفيتش!.. فليأخذك الشيطان أنت ورسائلك الإرشادية ومعها نصائحك العملية! إنه لمن الأفضل لي ألف مرة، والأكثر شرفا وإنسانية، لو أني بقيت هكذا، بلا شغل، وجلست أتأمل مستقبلي الضبابي، أفضل من هذه القذارة، الباردة والزنخة التي وجدتني أعوم فيها بلا داع، والتي تدفعني أنت إليها برسائلك ونصائحك. إن الاشمئزاز يغشاني وكأني تسممت بسمكة فاسدة. اشمئزاز مخز يستبد بالدماغ ولا سبيل للتخلص منه، لا بالفودكا ولا بالنوم ولا بالتطهر الروحي. أتعلم، أيها العم، ومع أنك رجل عجوز ولكنك بهيمة كبرى. فلأي شيء لم تحذرني بأني سأخوض في مثل هذه النجاسة؟ ألا عارٌ عليك!

سأسرد لك كل آلامي بالترتيب، فاقرأ واحكم على نفسك بنفسك. بادئ ذي بدء توجهت برسالة توصيتك إلى بابكوف. وجدته في مصلحة السكك الحديد، مَجْمع «ن». عجوز أصلع وقصير، بوجه أصفر باهت، حليق وفمه متعاكس: الشفة العليا تميل إلى اليمين، والسفلى إلى اليسار. كان يجلس إلى طاولة منفردة ويقرأ في جريدة.

وكحال أبولو في قمة برناسوس، فقد أحاطت به نساء وقورات، جلسن إلى مصاطب مكتبية عالية خلف كتب سميكة. كن أنيقات الملبس تلكم النساء: نفشة الفستان، المراوح ودستة الأساور. وكان من الصعب إدراك كيف استطعن التوفيق بين رونقهن الخارجي وبين الراتب البخس الذي تتقاضاه المرأة. فإما أنهن يخدمن هنا لتزكية الوقت، إذ يتحمل الآباء والأعمام مقتضيات حياتهن، أو أن هذه الوظيفة ما هي إلا فعل زائد، فيما المبتدأ والخبر في مكان آخر. وقد علمت من بعد أنهن لا يفعلن شيئا سوى الوقوف على أكتاف شغيلة من خارج ملاك العمل، وهم رجال بلا عقود أو حقوق، يتقاضون ما بين عشرة وخمسة عشر روبلا في الشهر. سلمت بابكوف رسالتك. ومن دون أن يدعوني إلى الجلوس، وضع ببطء عوينته التي تعود إلى ما قبل الطوفان، وببطء أكثر فض الظرف وباشر في القراءة.

العاطل

«إن عمك يسأل عن مكان شاغر لك، – قال وهو يدعك صلعته. – لا وجود لشواغر عندنا وليس واردا أن يحدث ذلك قريبا، ولكني سأبذل جهدي من أجل عمك على كل حال... سأجتمع بمدير مَجْمعنا... وقد نجد شيئا».

كدت أقفز من الفرحة ورأيتني على شفا أن أتناثر ذرات لأعبر عن امتناني حتى سمعت فجأة، يا أيها العم الغالي، هذه العبارة:

«ولكن، أيها الشاب، لو أن المكان الشاغر يعود لعمك شخصيا لما أخذت منه شيئا، إلا أنه لك أنت، لذلك... أنا واثق بأنك... ستثني عليَّ... كما يجب... أتفهم؟...»

لقد نبهتني إلى أنهم لن يمنحوني الوظيفة بالمجان، وأنه سيتوجب عليَّ أن أرشي، ولكنك لم تذكر لي كلمة واحدة أن هذه المتاجرة القذرة ستكون صاخبة، علنية، ووقحة... وبمرأى من السيدات! إيه يا عم، يا عم! أذهلتني كلمة بابكوف الأخيرة فأوشكت على الهلاك من فرط التقزز. اعتراني الخجل فكأني أنا نفسي من يرتشى. احمر وجهي وغمغمت بكلمات خاوية؛ ومشيعا بعشرين عين نسائية متضاحكة، تراجعت جهة المدخل. وإلى هناك، عند عتبة المدخل، استبقني أحدهم. شخصية سمجة أبلاها الشراب، وشوشت في أذني وقالت إنني، ومن غير بابكوف هذا يمكنني الحصول على شاغر.

«إليَّ بخمسة روبلات وسأحملك إلى سخر ميدوفيتش. إنه، وإن كان ليس موظفا، إلا أن بيده إيجاد الشواغر. لا يتقاضى الكثير مقابل ذلك: نصف المرتب عن السنة الأولى».

كان حري بي أن أتركه وأمضي، أو أطلق ضحكة، إلا أنني أجزلت له الشكر، ثم تثنيت، وباتضاع، سلكت الدرج نازلا. من لدن بابكوف توجهت إلى شماكوفيتش. شخص رهيف، ربعة، بسحنة حمراء يكسوها الحبور وعيون زيتية صغيرة. ومن فرط ما كانت عيونه الزيتية تلصف، يهيأ للناظر كأنها غمست في زيت الخروع. بمجرد معرفته أني قريبك، لم يتمالك نفسه من الفرحة وأخذ يطلق صهيلا. ترك ما بيده من عمل وقام ليعد لي الشاي. شخص حميم! ظل طيلة الوقت يرمق وجهي ويلتقط الشبه فيما بيني وبينك. تذكرك والدمعة في عينيه. وحينما ذكّرته بهدف زيارتي، ربت على كتفي وقال :»لقد ضقت ذرعا بالحديث عن العمل... العمل ليس دبا وسيختفي في الغابة. أين ستتغدى؟ إذا كان المكان سواء لديك، فتعال بنا نذهب إلى بالكين! وهناك سنتحدث».

إني أرفق مع هذه الرسالة فاتورة مطعم بالكين. ال 76 روبلا، التي تراها أمامك، أكل بها وشرب صديقك شماكوفيتش، الذي أبان عن شخص متذوق بامتياز. وطبعا أنا من دفع الفاتورة. ومن بالكين جرني شماكوفيتش إلى المسرح. التذاكر أنا من ابتاعها. ماذا أيضا؟ بعد المسرح عرض عليَّ صاحبك الوغد الذهاب إلى الضواحي ولكني امتنعت، فقد أوشكت نقودي على النفاد. أوصاني وهو يودعني أن أبلغك السلام وأخبرك أنه سيتدبر لي مكانا شاغرا ولكن ليس قبل خمسة أشهر. «في نيتي ألا أعطيك مكانا! – قال مازحا، رابتا بلطف على بطني. – فما الذي يدفعك، وأنت شخص جامعي، إلى الانخراط في بيئتنا؟ إن الأجدر بك أن تنتسب إلى مؤسسة حكومية، أي والله!»

«إني ومن دونك أعرف عن العمل في المؤسسات الحكومية. ولكن فلتجد لي إياه!».

توجهت برسالتك الثالثة إلى عرّابك خالاتوف في مصلحة «جيفوديورو– خامسكوي» لسكك الحديد. وهنا حدث ما هو أقذر من بابكوف و شماكوفيتش مجتمعين. أكرر ثانية: فليأخذك الشيطان يا عم! لقد بلغ القرف بي حدا مرعبا، والسبب في هذا هو أنت... لم أتوصل إلى صاحبك خالاتوف، واستقبلني بدلا منه شخص يدعى أوديكولونوف. نحيل، ناشف البنية، بوجه مجدور وسحنة الرهبان اليسوعيين. وبمعرفته أني أبحث عن عمل، أجلسني وألقى عليَّ محاضرة كاملة عن صعوبات الحصول على عمل. بعد المحاضرة وعدني أن يوصي بي، ويقلِّب لي، ويتحدث عني، وما إلى ذلك. وطبقا لوصيتك في تمرير النقود عند كل سانحة، ولمَّا بدا لي واضحا أن السحنة المجدورة لن تعارض الرشوة، دسست له شيئا في راحته وأنا أودعه... وبينما يده تحك وتضغط على أصابعي، تشكلت ابتسامة عريضة في السحنة، ومرة أخرى سكب عليَّ وعوده، ولكن... حين أدار أوديكولونوف رأسه، ألفى خلفه نفرا من الغرباء ما كان بوسعهم إلا أن يلمحوا يده المضمومة. اكفهر الوجه اليسوعي وغمغم بالكلام: «بالنسبة للوظيفة فأنا أعدك بالحصول عليها، ولكن... لا أقبل أجرا عن ذلك... كلا–كلا! هاكم إياه ثانية! كلا–كلا! إنك تسيء إلي...»

أرخى قبضته وأعاد لي النقود، ولكن ليس العشرة روبلات التي دسستها في يده وإنما ثلاثة روبلات. فيا لها من خفة! لا بد أن لهذه الأيدي الشيطانية نظاما كاملا من الزنبرك والخيوط، وإلا فكيف استحالت روبلاتي العشرة المسكينات إلى ثلاثة بائسات؟

الشخصية الشريفة واللائقة نسبيا وجدتها في رسالة التوصية الرابعة؛ إنه غريزودوبوف.

ما زال في ريعان شبابه، جميل، بسيماء نبيلة ورونق عصري. رحب بي وإن بشيء من الفتور والصدود الظاهري، ولكن بكياسة. وبالتحدث إليه عرفت أنه أنهى دراسة جامعية، وأنه تعب في البدء مثلي للحصول على كسرة خبز وارتجف كسمكة فوق صفحة جليد. لقد تعامل مع مسألتي بتعاطف جم لا سيما وأنه يتطلع إلى توظيف المتعلمين لديه. عُدته ثلاث مرات حتى الآن، وفي جميعها لم أسمع منه شيئا محددا. كان يغمغم ويتغضن ويتهرب من الأجوبة المباشرة، كأنه يخجل من الموضوع أو أنه لم يبت في شأنه بعد... لقد منحتك وعدا بعدم خلط العواطف بمسألتي. كما أكدت لي أنت أن جميع المحتالين يتشابهون في مظاهر النبل وإبداء أصدق آيات المروءة. ربما يكون هذا صحيحا، ولكن فلتجرب أنت أن تفرق بين الغشاشين والأسوياء هنا. إن الأمر يختلط عليك حتى تحترق السماء من فوقك... اليوم كنت مع غريزودوبوف للمرة الرابعة... وكالعادة أخذ يغمغم ولا يصرح بشيء محدد... اشتعلت حنقا. ولا أعرف أي شيطان جعلني أتذكر أنني أعطيتك كلمة شرف بأن أدس المال للجميع وبلا استثناء. فكما لو أن أحدا دفعني من كوعي... أو مثلما يحدث لنا حين نقرر القفز في ماء بارد أو عندما نحسم أمرنا للصعود إلى القمم، هكذا حسمت أمري وجازفت بدس النقود إليه.

إممم، فليكن ما يكون! – لقد حسمت أمري. – يمكنني تجريب ذلك ولو لمرة واحدة في الحياة...

ولم يكن عزمي على المجازفة لأجل الوظيفة بقدر ما كان حبا لاختبار شعور جديد. لأرى ولو لمرة واحدة في العمر، وكما يقال، ماذا يفعل «الإحسان» بالناس المحترمين! ولكنْ إلى الجحيم ذهب «الشعور» خاصتي. لم أفلح في محاولتي ... أخرجت النقود من جيبي، وبوجه محمر وجسد يرتعش بأكمله، اقتنصت لحظة لا ينظر فيها غريزودوبوف ناحيتي، لأضعها على الطاولة... ومن حسن الطالع أن غريزودوبوف، وفي اللحظة نفسها، كان يضع كُتبا على الطاولة فغطى بها النقود... ولكن،ها أنا أفشل... إذ لن يرى غريزودوبوف النقود... ستغيب بين الأوراق أو سيسرقها الحارس... وإن هو وجدها فبظني أنه سيشعر بالإهانة... هاك الأمر أيها العم... ضاعت النقود ومعها الضمير... بل وآلام الضمير أيضا. كل هذا بسبب نصائحك العملية الملعونة! لقد أفسدتني. سأدع الكتابة فثمة طارق على الباب، إني ذاهبٌ لأفتح.

في ذكرى الفنان والمناضل مجيد مرهون

أمسيــة للحيـــاة والأمــل

تكريماً للموسيقار الفنان والمناضل الراحل مجيد مرهون، نظّمت اللجنة الثقافية والفنية في «التقدمي» أمسية منوعة حضر فيها الفن والموسيقى والشعروالكلمات، بمناسبة الذكرى السنوية التاسعة لرحيله، حيث بدأت الفعالية بإشعال الشموع من قبل الرفيقة سلوى جواد ومعها الرفيق مكي عيّاد.

قال عريف الحفل الرفيق د. علي البقارة رئيس اللجنة الثقافية والفنية بالتقدمي بأن الفن لا يموت، فالفن هو الحياة والأمل والروح، لذلك تبقى روح الفنان مجيد مرهون باقية معنا وحاضرة دائماً.

قدمت في الحفل أغان من بينها أغنية "أبو الفعايل يا ولد" للفنان سلمان زيمان وفرقة أجراس، واستمع الجمهور أيضاً إلى أغنية "حبيبتي" بصوت الفنان الذي غادرنا مؤخراً الرفيق فوزي الشاعر، كما عرضت عدة صور من حفلات لمجيد مرهون مصحوبة بنص من إعداد د. جميلة الوطني.

من جانبه عزف الفنان أحمد الغانم مقطوعة موسيقية للفنان الراحل مجيد مرهون، وهي مهداة منه لأحمد، كما قدّم مقطوعة من تأليفه أهداها لروح مجيد.

أما الشاعر حميد القائد فألقى نص قصيدة (حبيبتي) التي كتبها في (سجن جدا)، بعد أن تحدث عن لقائه في السجن مع المناضل الفنان مجيد مرهون عام 1971، وهي القصيدة التي لحنها مجيد في السجن، لأنه وجدها تعبر عن مشاعره، وقدمتها فرقة "أجراس" فيما بعد بصوت الفنان فوزي الشاعر عضو فرقة أجراس، وختم الشاعر القائد فقرته بإلقاء قصيدة شعرية جديدة مهداة إلى ذكرى الفنان مجيد.

واستمع الحضور إلى فيلم وثائقي عن الفنان الراحل تضمّن شهادات من فنانين وموسيقيين عن أعماله الموسيقية بينهم الفنانان سلمان زيمان وخليفة زيمان، وآخرون بحرينيون وأجانب.

بدوره تحدث الفنان سلمان زيمان في الأمسية عن ذكرياته مع مجيد مرهون وعن علاقته مع فرقة أجراس بعد خروجه من السجن عام 1990، وأشار إلى أهمية التحضير للاحتفاء بالذكرى العاشرة للراحل الرفيق الفنان مجيد مرهون في فبراير 2020.

وأختتمت الأمسية بنشيد (طريقنا أنت تدري) الذي وضع مجيد مرهون ألحانه. يذكر أنه صاحب الأمسية معرض صور عن حياة وابداع مجيد مرهون ومؤلفاته، وخاصة "القاموس الموسيقي" الذي وضعه وصدر في أحد عشر جزءاً.

خلخال القصيدة

فاطمة محسن

لا لم تعد رجلاي تحتملان خلخالي
ولا رقصي
ولا صوت التغنج في الموسيقى
يارنة الخلخال
صوت القلب
ياشغف الحكاية بالرحيل
ياصوتي الذي بح
وياوطني الذي قد أذهلته رقصتي
لا لم تعد رجلاي تحتملان
هذا الرقص يأتي من بعيد
مسك الغريب يد القصيدة
حل الخوف في الكلمات
وتناثرت في النص كي تغفو
ولا تغفو المدينة
هذا النص يرعبني
أمسك يدي
وامدد يديك
حرك جنوني واخترق كل الموسيقى
در كيفما شاء اتساع الأرض
واسمع رنة الخلخال
راقصني
لكي أنسى انقسام الأرض من تحتي
كي أنسى الزلازل والدمار
لا لم تعد رجلاي تحتملان ظلم الأرض
رنة أضلعي
خلخال روحي
صوت البنفسج في الموسيقى
هكذا انتحر الطريق
أوقف موسيقاك الشوارع أدمنت لون الدماء
حتى الجدار انسل من أثر الكتابة فوقه
متهالك صار الطريق
والكل يرقص في جنون
عثرات هذا الوقت تقرصني
أوقف موسيقاك
استقال الوقت من عمري
وخلخالي يطاردني
أجري
فتهزمني الموسيقى
انزوي
لا لم تعد رجلاي تحتملان خلخالي
لا رقص الشوارع
لا شغف الحكاية بالرحيل

وطنٌ مع سبق الحلم

نادية الملاّح

تلك التي قالت بأنها تحبك،
تدّعي بأنها قد باتت ليلتها بين ذراعيك،
وتصهل في وجهي بضحكتها الصفراء،
تقول إنها ضاجعتك كثيرا،
واستمدت منك رجولتك،
سبحت في قبلاتك التي أمطرتها بها مليا،
وسبّحت في أنفاسك الدافئة كثيرا...
قلبي يقول إنها كاذبة جدا،
تلفّق الحكايات والقصص لتكسر قلبي،
لكني أبتسم في وجهها بسخرية
وأقول لها:
ليس ثمة امرأة تحبه سواي...

تلك التي تدّعي بأنها تحبك،
تمضي الوقت الطويل معك،
يغادرك ظلها ما إن تتشاغل أو تجد ما يأخذها منك،
أنت بالنسبة لها محطة عابرة،
لكنني...
أراك الأول في كل شيء،
والمبتدأ قبل أي شيء،
أركـن كل الأشياء من حـولي على رفوفها،
ولا أحركها من مكمنها حتى يفرغ الوقت والمكان من حضورك،
حين يأتي صوتك:
حبيبتي لن نلتقي هذا المساء
حينها أستجمع كل قواي لأستحضر كل ما يمكن أن يملأ وقتي بعشوائية مفرطة كي لا أستشعر غيابك،
يمضي يومي،
ولا أنجز شيئا شيئا يذكر،
ووحدك عالق في ذاكرتي وأنفاسي،
أنت لي وطنٌ وأكثر...

تلك التي تشيع إنها تحبك،
تبدو ناقمة جدا لأنها شمت في ثيابك عطر امرأةٍ أخرى،
أخبرت جيرانها وصديقاتها أن هذا الرجل خائن،
عديم الحس والشعور،
فـهـو يتقلّب في قـلـوب النساء ومشاعرهن،
هجرتك وحيدا وغادرت...
أذكر يوم ضممتني،
فرأيت آثار قبلة خرقاء على عنقك،
دفنت وجهي حينها بين كتفك وعنقك،
وحبست الوجع والجرح في داخلي،
لم أصرخ في وجهك،
لم أسألك،
لم أبرحك،
لكنك يومها قرأتني،
فقلت لي هامسا:
حبيبتي... تلك آثارهن قبل أن أراك وأعشقك، ألا تغفرين؟
ابتسمت وقبلت جبينك،
وأمضيت الوقت صامتة يقتلني ألمي،
في اليوم التالي اتصلت بك صباحًا لأبدأ يومي بك...
بادرتني قبل أن أنبس بحرف:
صباحك أحبك

تلك المرأة التي تقاسمك الفراش
وأنـا الأنثى التي أشاطرك العمر والأنفاس...
أنا وطنك...
وطنك لذي مهما هجرته لا يصد عنك،
ولا يهجرك...

واحة الفكر

نحن سكان الأعالي:

حول ابتذال فكرة المساواة

إعداد: هشام عقيل

سيزعج نفراً من القلوب الرقيقة المرهفة التصريح التالي: إن أي دعوة تحت شعار المساواة الماركسية ليست لها أية صلة بالماركسية. كما إنه أمر واقع بأن اغلب المنتسبين إلى الماركسية يُعزّون أنفسهم بفكرة العدالة والمساواة ما بين افراد المجتمع (وهذا راجع إلى ثقافتهم الناقصة)، بينما لا ماركس ولا انغلز ولا لينين رأوا بأن ذلك ما يعرف الاشتراكية. زد على ذلك، حقيقة أن هؤلاء الثلاثة قد حاربوا وسخروا من مفهوم "المساواة" الذي دعا إليه الاشتراكيون في كل الأزمنة.

سأضع هنا بعض الاقتباسات التي توضح ذلك، وسأقارنها بآراء نيتشه التي تقترب كثيراً من هؤلاء الثلاثة؛ تلك الآراء التي غالباً ما اعتبرت مناهضة للاشتراكية. ترى ماذا سيصنع بعض من اصدقائنا الاشتراكيين الحزبيين – دعاة العدل والمساواة – من هذا كله؟ هاكم رأيي: أرى أنهم سيعضون على طرف شفتهم ولن يحركوا ساكناً، لن يلفظوا حرفاً واحداً حتى، سيتغاضون عن كل ما قيل وسيمارسون اضعف الإيمان في إيمانهم الضعيف، حيث سيقولون بمضض: "آه نعم! كل ما يقوله يستند إلى المصادر من عقر دارها؛ يا لها من روح دوغمائية! .. مالنا وماله؟ دعوه يتحدث، دعوه يمر! ففي نهاية المطاف، روما عزيزة ولكن قيصر أعزّ منها!".

–1–

انغلز: لقد رأينا [مع مفهوم دوهرنغ للمساواة بأن المساواة ما بين إرادتين لا توجد إلا في حال كانت هاتان الإرادتان لا تريدان شيئاً؛ وحالما تتحولان إلى إرادات اشخاص حقيقيين تنتهي المساواة. إن حقيقة وجود الطفولة، الجنون، ما يسمى بالوحشية، الخرافة، التحيز المسبق وعدم القدرة من جانب، والإنسانية المتخيلة، ومعرفة الحقيقة، والعلم، من جانب آخر – ايّ كل اختلاف في نوعية الإرادتين والتفكير الموازي لهما – يبرر اللامساواة في المعاملة وهذا قد يصل إلى حد الإخضاع. ماذا يمكننا أن نطلب أكثر من ذلك، حين يقوم السيد دوهرنغ بنفسه بدحض أساس مفهومه الشخصي حول المساواة؟

(ضد دوهرنغ، 1877 – ترجمتنا)

نيتشه: إن نظاماً قانونياً تكون له السيادة عبر العالم، ولكن من غير أن يتخذ سلاحاً لمحاربة مجموعات القوى المتحالفة، بل كوسيلة لمحاربة الصراع بشكل عام؛ نظاماً مطابقاً للصيغة الشيوعية المبتذلة لدوهرنغ القائلة بإن كل الإرادات متساوية، هذا النظام سيكون مبدءاً معادياً للحياة، وعامل إنحلال الإنسان ودماره، واعتداء على مستقبله، وعلامة على الضجر، وطريقاً نحو العدم.

(جينيالوجيا الأخلاق، 1887– ترجمة: محمد الناجي)

–2–

لينين: إنها حقيقة بديهية بأن البشر ليسوا متساويين ابداً. ولا يوجد إنسان عاقل ولا أي اشتراكي يقول خلاف ذلك. لكن هذا النوع من المساواة لا يمت بصلة، لا عن قريب ولا بعيد، بالاشتراكية (...) أنه فعلاً لخيال سخيف إذا تصوّرنا بأن المساواة الاقتصادية تعني أي شيء غير إلغاء للطبقات. (...) المقصود بإلغاء الطبقات هو جعل كل المواطنين في ارضية متساوية فيما يتعلق بوسائل الإنتاج المشتركة ما بين أعضاء المجتمع ككل. إن ذلك يعني توفيرفرص متساوية لكل المواطنين ... كما إن فكرة مساواة المقدرات والقوى في المجتمع الاشتراكي هي لفكرة جد سخيفة.

(بروفيسور ليبرالي يبلو بدلوه حول المساواة، 1914 – ترجمتنا)

نيتشه: لا تسيئوا فهمي فتعتبروني واحداً من دعاة المساواة، فلست داعياً من دعاتهم. حيث هذا ما تقوله العدالة الحقيقية: "إن البشر ليسوا متساويين ابداً". لا، ولا يجب عليهم أن يتساووا كذلك! ماذا سيكون حبي للإنسان الأعلى حينها إذا تحدثت خلاف ذلك؟

(هكذا تحدث زرادشت، 1883 – ترجمتنا)

–3–

ماركس: المساواة ما بين الطبقات! ... يا له من رجل أنثوي! كالكومونة الروسية! الدواء السان السيموني القديم! ... عبارة فارغة!

(ملاحظات جانبية حول برنامج التحالف الأممي الاشتراكي الديموقراطي الذي خطه باكونين، 1868 – ترجمتنا. هذه الملاحظات المذكورة كانت رداً على العبارات التالية بالترتيب: "..الغالبية المعارضة للمبدأ الأساسي لكل الإتحادات العمالية في المساواة الاجتماعية والسياسية للطبقات والأفراد"... "إننا نطالب بمساواة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية للطبقات والأفراد من كلا الجنسين"... "إننا نطالب بظروف متساوية لنمو كل الأطفال من الجنسين منذ الولادة").

نيتشه: عندما يتبنى الفوضوي/الاشتراكي كناطق باسم الفئات المتدنية، المطالبة، وباستياء جميل، بالحق، والمساواة في الحقوق، فإنه يفعل ذلك تحت وطأة جهله الذي يجعله غير قادر على إدراك ما الذي يجعله يعاني في الحقيقة، – وما هو وجه العوز في حياته... هناك غريزة سببية تحكم سيطرتها عليه: لا بد أن يكون هناك أحداً مسؤولاً عن وجوده في حال سيء... كما أن الاستياء الجميل يريحه هو أيضاً.

ذلك أن كل الكائنات البائسة تجد متعة في التشكي... التشكي عديم القيمة في كل الأحوال: إنه يتأتى من الضعف. أن يعزي المرء حاله السيء إلى الآخرين أو إلى نفسه – في الحالة الأولى، كما يفعل الاشتراكي، وفي الحالة الثانية، المسيحي – فإن ذلك بالنهاية سيّان.

(غسق الأوثان، 1889 – ترجمة: علي مصباح)

–4–

انغلز: إن استعمال تعبير «إلغاء كل تفارق اجتماعي وسياسي» بدلاً من «إلغاء الطبقات» هو مشكوك في أمره. حيث ستوجد دائماً ما بين بلد وآخر، ما بين مقاطعة وأخرى، أو حتى ما بين مكان وآخر، تفارقات وعدم– مساواة يمكننا أن نحاول تقليصها إلى أدنى حد دون أن نقدر على إلغائها كلياً. إن من يسكن الجبال سيبقى مختلفاً عمن يسكن السهول. إن مفهوم المجتمع الاشتراكي بوصفه مكاناً للمساواة هو مفهوم فرنسي أحادي الجانب يجد مصدره في الشعار القديم لـ «الحرية، الاخاء، المساواة»... ومثل كل المفاهيم أحادية الجانب للمذاهب الاشتراكية المبكرة، لا بد علينا أن نتجاوزها، حيث إنها لا تنتج أي شيء سوى التشوش الذهني.

(من رسالة إلى بيبل، 1875 – ترجمتنا)

ماركس: إن روحاً عفنة تجتاح حزبنا في ألمانيا، نجدها عند القادة اكثر من القاعدة (الطبقة العليا و"العمال").

المساومة مع اللاساليين قد أدى بنا إلى المساومة مع عناصر مشوشة أخرى؛ في برلين مع دوهرنغ وأتباعه، ولكن أيضاً مع عصابة الطلبة الصبيانيين والدكاترة العباقرة الذين يريدون إعطاء الاشتراكية صفة «مثالية عليا»، ايّ استبدال اساسها المادي (الذي يتطلب دراسة موضوعية جادة من أي شخص يحاول استخدامه) بالميثولوجيا الحديثة وآلهتها المسماة بالعدالة، والحرية، والمساواة، والإخاء.

(من رسالة إلى سورغه، 1877– ترجمتنا)

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 136 ـ مارس 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

من الذاكرة

هل يا ترى يعود ذاك الزمن؟

حميد الملا

نحن نعيش غارقين في النسيان إلى أعلى رؤوسنا، ولا نريد أن نعرف ذلك. وحدهم من يعودون، مثلما عاد عوليس إلى مسقط رأسه إيثاكا، يستطيعون أن يروا مذهولين مبهورين، إلهة الجهل».

ميلان كونديرا

هذا الإقتباس توطئة للبحث عن كلمات قد توجز ما نحن بصدده في الكتابة عن إصدار جديد للشاعر يوسف حسن صدر حديثاً تحت عنوان (ذاكرة الزمن المنسي).

ما بين الماضي والحاضر، رجال ونساء تركوا بصماتهم بقوة وجمالية، أدوا ما عليهم وتركوا لنا مواصلة المسير علّنا نضيف شيئاً لما قدّموه، ومن أجل أن لا ننسى هؤلاء كان لابد أن يقوم أحدنا بغرس بذرة ليعيد لأولئك الرجالات الحياة مرة أخرى، وهكذا أخذ الشاعر يوسف حسن على عاتقه هذه المهمة النبيلة، فالشعراء هم حال خاصة يأتيهم المخاض ليلدوا قصيدة، ولكن هذه المرة على خلاف المعتاد ولد كتاب حري بكل مهتم قراءته، ففي هذا الكتاب جمع ما تيّسر له من الذكريات وأعاد تشكيلها وتأطيرها وبلورة صورها وأحاسيسها وأنتجها من جديد في حلة قشيبة بهية.

قد يحفز هذا الكتاب آخرين على الكتابة عن أناس آخرين منسيين وهم كثر في وطننا المعطاء ليضيئوا شمعة في عتمة هذه الحياة الناكرة لجميل هؤلاء المنسيين.

إستعاد يوسف حسن في ذاكرته تلك الملامح لهؤلاء الرجال المنسيين وأغدق عليهم بما يستحقونه من تكريم معنوي شعراً ونثراً ورجزاً وإطراءاً وأعاد إلينا صورتهم البطولية العصامية المكافحة من أجل لقمة العيش، صورة الناس البسطاء الكادحين من أجل الستر والكرامة والأمن كما يقول في إحدى الفقرات من الكتاب.

في كتابه استخدم ذاكرته ليضيئ جانباً مما كان مهملاً أو منسياً لقرية، ما كان أحد ليتذكرها كحال كل القرى في البحرين لولا إستخدام تلك الذاكرة الحية والنابضة بالحيوية لتضيف شيئاً ما عن هذه القرية التي أنجبت الكثير من الرجال العظماء الذين رأى في قوتهم وشموخهم الوطن رغم الجوع والخوف والبرد ظلوا صامدين ومخلصين لوطنهم وقريتهم ومجتمعهم وأعطت الكثير للبحرين.

ففي هذا الكتاب يطوف يوسف حسن بنا على جوانب عديدة ومتعددة لقرية الديه، نخيلها، بحرها، برها، طيورها، مواردها، وأهم من كل ذلك ناسها الطيبين، نضالاتهم، كفاحهم، صبرهم، هزيمتهم أفراحهم، أحزانهم، مآسيهم، لقمة عيشهم.

فالبحر حاضر والنخل حاضر والإنسان حاضر في هذا الكتاب القيّم.

من خلال قراءتي لهذا الكتاب وجدت البحرين حاضرة أيضاً وليس قرية الديه التي أخذها إنموذجاً لحث ذاكرته على الكتابة عن هذه القرية، فكل القرى متشابهة في العطاء، فالرجال هنا وهناك لهم صولات وجولات من أجل العيش الكريم، ولكن ما يميز القرى الساحلية هو البحر وأهواله ومآسيه وخيراته وعطاءاته أيضاً.

الكتابة كمشروع في حد ذاته منجز لايستهان به فما بالك أن تعصر ذاكرتك عصراً لتنجب أفكاراً تصبح مع مرور الزمن أحداثاً منسية لتحييها من جديد كما فعل الشاعر الأستاذ يوسف حسن في كتابة الجدير بالقراءة والإضافة لما قد فاته من أحداث لم تذكر في هذا الكتاب (ذاكرة الزمن المنسي، تأملات في حياة الإنسان والبيئة في قرى البحرين – الديه نموذجاً).

يوسف حسن الشاعر تعرّفنا فيه على الكاتب والمؤرخ أيضاً من خلال ما سطره من أحداث إستطاع أن يعطيها الألق والحياة من جديد في تصويره الدقيق للأحداث والشخوص وإعادة الروح إليهم وكأنما يعيدهم إلينا لتتذكرهم واحداً واحداً، ونتذكر بطولاتهم وكبواتهم ومآسيهم، فمنهم فرسان البحر الغواصين وصيادي اللؤلؤ والمحار ومنهم ممتهنين صيد الطيور ومحترفي كرة القدم ومنهم ممتهني الخطابة الحسينية، ليتذكرهم ويتذكر إنجازاتهم كل في مجاله ويضفي على هؤلاء نفحة من روحه كشاعر ليرثيهم بعد رحيلهم واحداً تلواً الآخر لما قدموه من إنجازات للقرية والوطن ف»للفقدانات تجليّاتها» كما يقول حسن مدن في كتابه «ترميم الذاكرة».

فبالشعر يسطر لهم بطولاتهم ومآثرهم وصولاتهم وجولاتهم في الحياة قبل الممات لنتذكرهم وتتذكرهم الأجيال من بعدهم، ومن هنا تعرّفنا على الكثير منهم فيما أنجز من الكتابة عنهم شعراً ونثراً وقصصاً شيقاً أعطانا صورة واضحة جلية مقدرة عن كل من هؤلاء الناس البسطاء الفقراء عفيفي الأنفس كريمي الخلق.

جال بنا من خلال ذاكرته على كل رجالات القرية (حمندي – محمد علي العكري، الشيخ حسن الباقري، أخوانه ووالده وعائلته، علي مطر أبناء فخر، أبناء المولاني، والقائمة تطول .....الخ)

يذكر لنا أيضاً أسماء ماتوا وهم واقفين كالنخل، يقول: «كما تتهاوى أوراق الشجر اليابسة، لأول هبة ريح في الخريف، يتهاوون من أعالي النخل، أحمد، عبدالله، حسن، عباس، مهدي، سلمان، إبراهيم وتترى الأسماء قائمة لا نهاية لها، تتكرر على مر الأيام والعقود والأجيال والعصور، طوابير بشرية تأتي وطوابير أخرى تمضي، رتلاً بعد رتل ورعيلاً بعد رعيل وقطيعاً بعد قطيع، أسماء وشخوص عاشواً أخفافا كما تعيش الكائنات الأثيرية، لم يثقلوا بلدهم أو ذويهم كما أثقلها المترفون والميسورون بالقصور والفلل والعمارات والمجمعات والناطحات والرغبات، قصارى طموحاتهم العيش بشيء من الستر والكرامة والأمن ..الخ) .

لم يكتف يوسف حسن في كتابه عن القرية بالولوج في واقع حال القرية بل عرج على أمور أخرى كانت هاجساً لديه كحالة الوعي الوطني إبان فترة الستينات من القرن الماضي ومدى تأثيرها على تلك الأجيال سواء في القرى أو الوطن وبالخصوص النوادي الثقافية والأدبية وخصص حيزاً لا بأس به لإنعاش ذاكرة الأجيال اللاحقة.

كما أن للشعر مكاناً مرموقاً في هذا الكتاب على إعتبار بأن المؤلف شاعر له مكانه بين الشعراء فيذكر لنا هذه الأبيات الجميلة:

«عندما يأتي أبي من رحلة الموت البطئ
أتلقاه كجندي جريح
وأزيح الوحل عن ساعده المثقل من همّ العيال
وأرى الضحكة في عينيه سوطاً يتلوى»

بات من المؤكد بأن ذاكرة أبي وديع مازالت تحمل المزيد من الذكريات، وبات أيضاً من المؤكد أن تلك الذاكرة لا تسع هذا الكتاب ليطوف بنا نحو وحول أناس آخرين منسيين علّه في يوم آخر يضيف إلى هذا الكتاب كتاباً آخر ويمتعنا بأسلوبه الراقي الرصين الرشيق مزاوجاً بين الكتابة والشعر وهذا سر نجاحه وتميزه وتألقه في هذه السرديات الممتعة.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com